شعر

طُرَيح بن إسماعيل الثقفي

دراسة وجمع وتحقيق

دكتور بدر أحمد ضيف

١٩٨٧

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير - الإسكندرية

شعر

طُرَيح بن إسمَا

دراسة وجمع وتحقيق

دكتور بدر أحمد ضيف

١٩٨٧

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير - الإسكندرية

إهـــداء

ليت الكواكب تدنو لى فأنظمها   عقود مدح فما أرضى لكم كلمى

إلى أستاذى الجليل العالم الأب الدكتور محمد مصطفى هدارة

أهدى بعض علمه ، وثمار غرسه وفاءً وإخلاصاً يتمثلان فى كل فكر ، ومع همسة القلم حين يخاطب السطور ، وفاء تعلمته أيضاً على يديه ، وإخلاصاً منه وإليه .

ابنك

د. بدر أحمد ضيف

تقـــــديم

لم يذكر أحد من الذين ترجموا لطريح بن إسماعيل الثقفى – على قلة من ترجموا له – أن له ديواناً مجموعاً ، أو أنَّ له مجموعاً شعرياً اهتم به الشاعر فى حياته ، كما لم يذكروا أنَّ الشاعر تتبع شعره بالعناية قبل أن يلقيه إلى أقلام الرواة . وكل ما يذكرونه عنه أنه كان شاعر الوليد بن يزيد ، استفرغ شعره فى مديحه ، وكان من حزبه المنافح عنه ، والمدافع عن سياسته . وأصدق القول إن شعر طريح قد أصابه ما أصاب شعر ثقيف فى الجاهلية وصدر الإسلام من إهمال أخبارهم وأشعارهم فما نعرفه عنها لا يشفى غلة ، ويغص القارىء كثيراً بتضارب الأخبار عنهم وعن شعرائهم . وما وجدناه لطريح الثقفى من شعر لا نستطيع أن نرتبه ترتيباً تاريخياً فهو عبارة عن قصيدتين إحداهما فى المدح والأخرى فى الاعتذار ، ومقطعات قصيرة وأبيات متناثرة . ومع ذلك فهى تنبىء أنه شاعر مكثر . وقد فوت علينا الرواة فرصة تأريخ شعره ، وبرغم ذلك لم يكن طريح بالشاعر المغمور ، وفد على الوليد بن يزيد ولياً للعهد ثم خليفة ، وظل ينتصر له ولسياسته ، وكثرت فيه مدائحه حتى زاد حساده ، فوشوا به عند الوليد ، ومن ثم توالت اعتذارياته فأرجعه الوليد إلى سابق عهده ومكانته .

ويسكت المؤرخون عنه تماماً بعد مقتل الوليد ليعودوا إلى إظهاره فى بلاط المنصور الخليفة العباسى الذى رفض أن يستمع إلى مديحه . وتغلق أبواب الحكام وأبواب المصادر عن تتبع حياته حتى إنهم اختلفوا فى تاريخ وفاته .

وقد قسمت هذه الدراسة إلى قسمين : قسم عن الشاعر ، وقسم عن الشعر محققاً . أما القسم الأول فكان فى ثلاثة فصول : الفصل الأول : استعرضت فيه نسب الشاعر وعراقة منبته ، ثم رحلته إلى دمشق ، ووضحت فيه علاقة الأمويين بثقيف ثم علاقة العباسيين بهم ، كما عللت لوفادته على الوليد بن يزيد دون غيره من خلفاء بنى أمية .

أما الفصل الثانى فكان دراسة عن موضوعات شعره ، وقد تناول طريح معظم موضوعات الشعر المعروفة مثل المديح والوصف والرثاء والغزل والحكمة وأعاد إلى الحياة اعتذاريات النابغة ، ووضحت أن طريحاً فى هذه الأغراض كان له منهجان : منهج قديم نحا فيه نحو القدماء ، ومنهج جديد فى طريقة تناوله للموضوعات .

وكان الفصل الثالث عن الدراسة الفنية ، وقسمته إلى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول دراسة فى نهج القصيدة العربية ممثلاً فى قصيدة المديح عند طريح ، والجزء الثانى عن لغة الشعر والأوزان ، والجزء الثالث عن الصنعة الشعرية .

أما القسم الثانى من الكتاب فقد قدمت فيه الشعر محققاً ، وكان للتحقيق منهج :

١ - تتبعت الشعر فى مصادر الأدب المختلفة مطبوعها ومخطوطها .
٢ - قمت بضبط الأبيات ووزنها وزناً عروضياً ، ووضعت الوزن العروضى على يسار الأبيات .
٣ - قمت بترتيب المصادر ترتيباً تاريخياً ليسهل علينا معرفة السابق من اللاحق فى روايات شعر طريح .
٤ - كذلك قمت بترتيب أبيات بعض القصائد حتى يتلاءم البناء العضوى للقصيدة .

هكذا قدمت طريح بن إسماعيل الثقفى الشاعر البدوى الوافد من الطائف إلى دمشق ، عسانى به أكون قد أظهرت شاعراً من شعراء قبيلة ثقيف ، وسددت به ثغرة لهذه القبيلة التى جنى عليها الزمن واندثر شعر شعرائها وراء حجاب كثيف .

وعلى الله قصد السبيل ...

د. بدر أحمد ضيف

أولاً : الدراســـــــة

الفصـــل الأول

الشـــــاعر

هو طُرَيْح بن إسماعيل بن عُبَيْد بن أُسَيْد بن عَلَّاج بن أبى سَلَمة بن عبد العُزَّى بن عَنَزَة بن عَوْف بن قَسِىٍّ وهو ثقيف[١]. هكذا جاء نسبه فى الأغانى ، ويكتفى ياقوت بنسبة إلى عبد العزى ثم يلقبه بعدها بالثقفى[٢]، أما ابن عساكر فيزيد جداً (سعيد) بين (إسماعيل) وبين (عبيد) ، كما يقف بنسبه أيضاً إلى (عبد العزى)[٣].

وجاء نسب هذا الفرع من ثقيف فى معجم قبائل العرب ، قال : (ثقيف بن مُنَبِّه) « بطن متسع من هوازن ، من العدنانية ، اشتهروا باسم أبيهم ، فيقال لهم : فيقال لهم : ثقيف ، وهم : بنو ثقيف ، واسمه قسىّ بن منبه ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان »[٤]. ومن ثقيف : بنو جهم بن ثقيف ، وبنو عوف بن ثقيف ، ويعرفون بالأحلاف والفرع الثانى بنو مالك[٥]. وهذه القبيلة تنتمى كما جاء نسبها فى معظم مصادر الأنساب إلى قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وفى دائرة المعارف الإسلامية (أن البعض يربط نسب ثقيف بـ (إياد) والبعض الآخر بـ (هوازن) . وكان النسابة فى القرن الثانى للهجرة لا يزالون فى حيرة بين هذين الرأيين ، ويصرح غالب ثقيف أنهم من هوازن ليربطوا أنفسهم بهوازن ، وهى من البطون المتصلة بقيس ، وقد هدى بنى ثقيف إلى

---

(١) الأغانى ٤ / ٣٠٢ .

(٢) معجم الأدباء ١٢ / ٢٢ .

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ٧ / ٥٦ .

(٤) ١ / ١٤٨ .

(٥) نهاية الأرب للقلقشندى ص ١٦٦ .

هذا الحل الموفق منافعهم ومركزهم الجغرافى ، فهم ينزلون حياً يقطنه بنون هوازن ، ولهم فيه النفوذ الغالب . ولا يناصر الرأى القائل بانحدار ثقيف من إياد إلا نفر من أحلام الطائف)[١].

وطريح منسوب إلى الأحلاف من أهل ثقيف ، ويفصل ابن قتيبة النسب فيقول : « ولد ثقيف جُشَم وعَوْفاً والمسك ، فأما (المسك) فتزوجها (قاسط) فولد له : وائلاً ، أبا بكر بن وائل . وأما (جشم) فولد : حُطَيْطا ، فولد حطيط : مالكا وغاضرة . وأما (عوف) من الأحلاف ، وذلك أنهم تحالفوا على بنى مالك والأحلاف وصارت (غاضرة) مع الأحلاف . فثقيف فرقتان : بنو مالك والأحلاف .. ومن الأحلاف : المختار ابن أبى عبيد ، والحجاج بن يوسف ، وأمية بن أبى الصلت الشاعر ، وأبو مِحْجن الشاعر ، والحارث بن كَلَدة .. »[٢].

هذا هو طريح بن إسماعيل من الأحلاف وهم الفرع الثانى من أصل ثقيف . لم تذكر المصادر متى ولد ، ولكنه يشير إلى أصالة منبته فى شعره ، يقول :

إنّى كَرِيمُ كِرَام عِشْتُ فى أَدَبٍ ... نَفَى العيوب ، ومَلْكُ الشيمة الأدبُ
قد يعلمون بأن العسرَ مُنقَطِــــعٌ ... يوماً ، وأن الغِنَى لابُدَّ مُنقَلِـــبُ
فمالُهــم حُبُسٌ فى الحق مُرْتَهَــنٌ ... مثلُ الغنائم تُحْوَى ثم تُنْتَهَـــب
وما على جارهم ألا يكـــون لـــه ... إذا تكنَّفَه أبياتُهـــم ، نَشَـــبُ
لا يفرحون إذا ما الدهرُ طاوعهـم ... يوما بيســر ، ولا يشكون إن نُكِبُوا
قوم لهم إرثُ مَجْدٍ غيرُ مُؤْتَشَـــبٍ ... تنقاد طوعاً إليه العُجْـمُ والعَـرَب[٤]

(١) مادة ثقيف جـ ٦ ص ٢٠٥ .
(٢) المعارف ص ٩١ .

أما عن أسرته ففى نهاية الأرب إشارة إلى جده ، فهو « سعيد بن عبيد ، وهو الذى رمى أبا سفيان بن حرب يوم الطائف فقلع عينه »[١]. ويقول الأغانى عن أمه إن « أم طريح هى بنت عبد الله بن سباع بن عبد العزى بن نضلة بن غُبْشَان من خزاعة ، وهم حلفاء بنى زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

وسباع بن عبد العزى هو الذى قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد[٢]. ويؤيده فى ذلك ياقوت الحموى[٣].

ولعله حصل ثقافته الأولى وهو بين أهله فى الطائف ، ولم يذكر فى شعره شيئاً من ذلك ، إلا أنَ الثقافة العربية الجاهلية هى التى أنبتته ، فنما وزكا عوده وهى نصب عينيه ، ونما الشاب وتزوج وأنجب ابناً لعله كنى به فقيل أبا الصلت ، يقول أبو الفرج : يكنى طريح أبا الصلت ، كنى بذلك لابن كان له اسمه صلت[٤]، وله يقول :

يا صَلْتُ إنَّ أبَاكِ رهــــنُ مَنِيَّــةٍ   مكتوبــةٍ لابُــدَّ أنْ يَلْقَاهـــــا[٤٦]

إلا أن محمد بن حبيب فى كتابه (كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه) : يلقبه بأبى إسماعيل[٥]، فلعل له ابناً آخر كنى به ، ويؤكد ذلك ابن قتيبة فيقول : وله عقب بالطائف[٦].

ويعيش الصبى مع أبيه فترة من الزمن فى الطائف ، ثم تتوفى أم الصبى فيطرحه إلى أخواله فى الطائف[٧] ويرحل .

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٧ / ٥٦ .
(٢) الأغانى ٤ / ٣٠٣ .
(٣) معجم الأدباء ١٢ / ٢٢ .
(٤) الأغانى ٤ / ٣٠٨ ، وعيون التواريخ ٥ / ٩٧ .
(٥) نوادر المخطوطات ص ٢٩١ / ج ١ .
(٦) الشعر والشعراء ٢ / ٧٩٦ .
(٧) الأغانى ٤ / ٣٠٩ .

ويشتاق إلى ابنه وهو فى الغربة فينادى خياله بلفظ رقيق وحس مرهف ، يقول له :

بات الخيـالُ من الصُّلَيْتِ مُؤَرِّقى ... يَفْرى السُّـرَاةَ مع الرَّبَابِ الملشـق
مارَاعَنى إلّا بَيَـاضُ وُجَيهِـــهِ ... تَحْتَ الدُّجُنَّـةِ كالسِّـرَاجِ المُشْرِقِ[٢٥]

ولسنا ندرى متى كان رحيله إلى دمشق . يقول المرزبانى : وفد على الوليد ابن يزيد بن عبد الملك وتوسل إليه بالخؤولة بينه وبينه لأن أم الوليد ثقفية فخص به : فأم الوليد أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفى . ولهذا يعتبر المؤرخون الثقفيين أخوالاً للوليد[١].

وتعود العلاقة بين الثقفيين والأمويين إلى قديم ، « فقد اشتهر أهل ثقيف بما اشتهر به أهل الطائف من الحيلة فى القتال ، واشتركت وإياهم فى الفتوح الإسلامية وخاصة فى العراق حيث أسسوا مدينة البصرة . وسرعان ما انحازت ثقيف إلى الأمويين ، شأنها فى ذلك شأن الطائف ، فجروا عليهم عداوة بنى العباس وأهل الحديث من العباسيين والعلويين[٢]. ونرى بنى ثقيف فى سنة ٨٢هـ يحاربون مع الحجاج بن يوسف الثقفى عبد الرحمن بن محمد[٣].

ولابد لنا من البحث عن الأسباب التى حدت بطريح بن إسماعيل الثقفى أن يهجر الطائف إلى دمشق ويتصل بالوليد بن يزيد دون غيره من خلفاء بنى أمية ، ونرى بعد الاستقراء أن هناك عدة أسباب حدت بطريح إلى هذا الرحيل والاغتراب ، منها : وهو من الأحلاف – أنهم أحدث الحزبين ، نقرأ فى دائرة المعارف الإسلامية[٤] سبباً من بين هذه الأسباب (وكان أهل الطائف ينقسمون فريقين كبيرين بل هما حقاً حزبان متعاديان شل نضالهما فى سبيل السعادة اقتصاد المدينة وعاق نموه . وكان الأحلاف ، أحدث الحزبين عهداً ،

(١) عيون التواريخ ٥ / ١٨ - تاريخ اليعقوبى ٢ / ٣٣١ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة (ثقيف) .

(٣) معجم قبائل العرب ١ / ١٤٧ .

(٤) مادة (الطائف) ص ٥٥ .

وأقلها أخذاً بأسباب الأرستقراطية ولكنهم بالرغم من هذا قد نجحوا فى الاستئثار بسدانة اللات . وقد أحس هؤلاء بأنهم دون منافسيهم بنى مالك فى الثراء وامتلاك الأرض فسعوا إلى تعويض نقصهم بالبراعة الفائقة فى سياسة الأمور والتنظيم الحربى الجاد . وقد خرج أعظم شعراء الطائف وأكثر شيوخها هيبة من الأحلاف) وتشير الدائرة إلى السبب الثانى لهذا الرحيل فتقول : (وكان بين أهل الطائف وأهل مكة نوع من الاتفاق الودى ، وهو اتفاق وثقت عراه روابط المصاهرة بين قريش والأحلاف . وقد رأينا أن كثيراً من أهل مكة كانوا يعيشون فى الطائف ، وكانت لهم ضياع فيها . وكان من يقيمون من أهل الطائف فى مكة لا يكادون يقلون عن أولئك ، يعيشون فيها أحلافاً لأسرها الكبيرة وخاصة الأمويين الذين كان لهم أصحاب ضياع فى إقليم الطائف . وهذا يفسر الشأن الكبير الذى كان لبنى ثقيف فى خلافة الأمويين) .

وتشير الدائرة كذلك إلى السبب الثالث ، أنه (قد اقترن التدهور الاقتصادى للطائف وفقدانها لاستقلالها الذاتى ببلوغ الثقفيين أوج سلطانهم السياسى ، فقد استطاعوا أن يزجوا بأنفسهم فى المناصب الكبرى ، وأظهر ما فطروا عليه من مواهب مختلفة أشد الاختلاف . ذلك أننا ألفنا منذ عهد معاوية أن نجد عمالاً من الثقفيين يحيطون بالخليفة ، بل لقد كدنا (وزياد بن أبيه فى أوج سلطانه) أن نتوقع إلى حين أن يتولى هؤلاء الثقفيون عرش الخلافة) .

ونضيف سبباً آخر أن علاقة قيس عيلان بالأمويين أقدم من الوليد بن يزيد .

هذه كلها مكانة ثقيف وهى أمور تبرر – إلى حد ما – نقلة طريح وغيره من الشعراء إلى الشام ، ويبدو أن النقلة إلى الوليد بن يزيد بالذات كانت لأن أمه ثقفية ، فعلاقة النسب إذن – أحد الأسباب . ولأنه أغدق على الثقفيين فى عهده السلطة والمال ، فقرب القيسيين إليه بشكل عام واعتمد عليهم فى

سياسته . وهكذا انقطع طريح له واستبد به واستفرغ عامة شعره فى مديحه(1). مما حدا بياقوت أن يقول : إنه نشأ فى دولة بنى أمية ، أى إنه لم يعرف إلا فى عهدهم ، ولم يعرف له شعر إلا فيهم ، وهو من حزبهم المنافح عنهم وعن سياستهم . ويبدو من شعر طريح أخلاقه فهو يدعو فى شعره إلى تقوى الله ويجعلها دون شعاره :

فَعَلَيْكَ تَقْوَى الله واجْعَلْ أَمْرَهـا دُثُراً ، ودون شِعَارِكَ المُسْتَشْعَرِ[١٧]

ويبدو أن لسانه طاهر فلم يكن ينال الناس بلسانه خوفاً من أن ينالوه ، وينصح الإنسان إذا كان كثير العيب على الناس أن يحذر فلعلهم قالوا فيه مثل ما يقول فيهم :

إذَا كُنتَ عَيَّاباً على الناس فاحْتَرِسْ لنَفسِكَ مِمَّا أَنْتَ للنَّاسِ قَائِلُهْ[٣٦]

وكان ذا نفس رقيقة حساسة يواجه أعداءه بجميل فعله ، وإن كانت هذه من بين أهداف السياسة إلا أنها تنم عن أخلاقه ، مؤمن بقضاء الله ، وأن شيئاً لن يبقى للناس سوى عملهم ، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله ، يقول :

بَلْ كلُّ شَيْءٍ سَيُبْلِى الدَّهْرُ جِدَّتَهُ حَتَّى يَبِيدَ وَيَبْقَى الله والعَمَلُ[٣٠]

كما يبدو من حكمته التى سنعرض لها أن له مكانة اجتماعية فى أندية قومه وبين رجالها وشيوخها ، وبرغم هذه الأخلاق قد ارتحل إلى الوليد ، يروى عن نفسه فيقول : « خصصت بالوليد بن يزيد حتى صرت أخلو معه . فقلت له ذات يوم وأنا معه فى مشربة : يا أمير المؤمنين ، خالك يحب أن تعلم شيئاً من خلقه . قال : وما هو ؟ قلت : لم أشرب شراباً قط ممزوجاً إلا من لبن أو عسل ، قال : قد عرفت ذاك ولم يباعدك من قلبى ، قال : ودخلت يوماً وعنده الأمويون ، فقال لى : إلى يا خالى ، وأقعدنى إلى جانبه ، ثم أتى بشراب فشرب ، ثم ناولنى القدح ، فقلت : يا أمير المؤمنين قد أعلمتك رأيى فى

(1) عيون التواريخ ٥ / ٩٧ معجم الأدباء ١٢ / ٢٢

الشراب . قال : ليس لذاك أعطيتك ، إنما دفعته إليك لتناوله الغلام ، وغضب . فرفع القوم أيديهم كأن صاعقة نزلت على الخوان ، فذهبت أقوم ، فقال : اقعد فلما خلا البيت افترى على ، ثم قال : أردت أن تفضحنى ، ولولا أنك خالى لضربتك ألف سوط ، ثم نهى الحاجب عن إدخالى ، وقطع عنى أرزاقى ، فمكثت ما شاء الله ..)[1].

ولسنا نحقق فى أخلاق الوليد إنما مهما أفاض بعض الباحثين فى بيان تقوى الوليد[2]، فإن ذلك لن ينفى عنه تهتكه وسكره ومجونه وأن ذلك أو بعضه كان سبباً من أسباب مقتله ، وفى تاريخ اليعقوبى (واضطربت البلدان كلها ، وكان الوليد مهملاً لأمره ، قليل العناية بأطرافه ، وكان صاحب ملاه وقيان وإظهار للقتل والجور ، وتشاغل عن أمور الناس ، وشرب ومجون ، فبلغ من مجونه أنه أراد أن يبنى على الكعبة بيتاً يجلس فيه للهو ، ووجه مهندساً لذلك)[3].

ومع مباينة أخلاق الوليد لأخلاق طريح نجد سبباً مباشراً لهذه العلاقة . إن المؤرخين يسكتون تماماً عن تعليل هذه الظاهرة ، ولنا أن نستنتجها استنتاجاً : أهى علاقة النسب التى حدت به إلى الاتصال بالوليد بن يزيد دون غيره ، أم هى رغبة الشاعر فى أن يعلو أمره ، ويشهر ذكره كغيره من الثقفيين الذين علا ذكرهم فى العهد الأموى ، أم هو إغداق الوليد على الثقفيين مالا ومنزلة اجتماعية ؟ فأحب أن ينال من ذلك شيئاً ، إن طريحاً لم يصرح بشىء من ذلك فى شعره الذى وصل إلينا .

ونعود إلى شعره نفتش فيه عن شىء فنجد بيتين لطريح يقول فيهما :

فإِلَيْكَ ارْتَحَلْتُ تَشْفَعُ لى قُـــرْ　　بى ونصـحٌ لكم ، وغَيْبٌ سَلِيمُ
فاكْسِنِى البِشْرَ إنّه شـاهدُ العُـــرْ　　فِ كما شَـاهَد القنوطَ الوجـومُ[43]

---

(1) الأغانى ٤ / ٣١٠ .

(2) الوليد بن يزيد — د. حسين عطوان .

(3) تاريخ اليعقوبى ١ / ٣٣٣ .

أكان هدفه من هذه الرحلة النصح والبشر والمعروف ، إنها لرحلة إذن باهظة التكاليف . ونعود إلى قصيدته الطويلة فنجده يذكر الذمامة والحق وهذا الشعر الذى جاء به من أقصى الأرض وقد أنضى راحلته حتى ظهرت بها العيوب والنقب ، يقوده إليه الود والإخلاص ، يقول :

أين الذِّمَامةُ والحقُّ الذى نَزَلَتْ ... بحفظِه وبتعظيمِ له الكُتُبُ
وحَوْكِىَ الشِّعْرَ أُصْفِيه وأَنْظِمُه ... نظمَ القلائِد فيها الدُّرُّ والذَّهَبُ
وهَزّىَ العِيسَ من أرضٍ يمانيةٍ ... إليك خُوصا بها التَّعْيِينُ والنُّقَبُ
يَقُودُنى الودُّ والإخلاص مُخْتَرِمِى ... من أَبْعَدِ الأَرْضِ حتى مَنْزِلى كَثَبُ [٤]

أكان يعبر طريح فى رحيله إليه عن رأى الثقفيين جميعاً وفرحتهم بتولى الوليد إمرة المؤمنين ، فأصبح شاعره الخاص ومن ثم (كان الوليد بن يزيد يكرمه ، وكانت له منزلة قريبة ومكانة ، وكان يدنى مجلسه ، وجعله أول داخل وآخر خارج ، ولم يكن يصدر إلا عن رأيه . فاستفرغ مديحه كله وعامة شعره فيه)[١].

أهى المكانة الاجتماعية المرموقة التى كان يسعى إليها طريح فى عهد الوليد ، ولم تحدث لغير عهده ؟ إن شعره ينبىء عن ذلك ، يقول :

وكنتُ جَاراً وضَيْفاً منك فى خَفَرٍ ... قد أَبْصَرَتْ منزلى فى ظِلِّك العَرَبُ [٤]
ورُجِيتُ واتُّقِيَتْ يَدَاى وقيل قد ... أَمْسى يَضُرُّ إذا أَحَبَّ ويَنْفَعُ [٢٠]

أو يقول له مبيناً هواه اليزيدى فيه وقد تألم كثيراً لإبعاده عن حوضه ، ويظل هو بعيداً سغباً عطشان لا إلى مورد ماء وإنما إلى مكانته الاجتماعية التى طالما حن إليها ، يقول :

إنّى عَجِبتُ لِصَوْتِ غَيْثٍ مُرْسَلٍ ... يَغْشَى البَرِيَّةَ وهو عنى مُقْلِعُ
ولمَعْشَرٍ لم يبلغُوا من وُدِّكم ... ما قد بلغتُ يقومون وأدفع

---

(١) الأغانى ٤ / ٣١٢ .

مالى أُحَلَّا عن حياضك مفردا   يَرِدُ الظمآءُ فيشربون وأقدع
فكأنكم فيما مضى من عيشتى   لم تعلموا وتَرَوْا هَوَاىَ وتسمعوا[٢١]

هو إذن الإخلاص السياسى والاجتماعى ما حدا بطريح أن ينتقل هذه النقلة البعيدة من الطائف إلى الشام رغبة فى أن يمتلك زمام السياسة مع الوليد فينافح عنه ويكون من حزبه ، وبه سيبلغ أقصى مكان حيث يرى العرب فى ظله مكانة ثقفى من الطائف .

أضيف إلى ذلك أمراً ذا بال ، هو أن الوليد بن يزيد حين ولى الخلافة كان كأبيه اعتمد فى سياسته على القبائل القيسية وولى الثقفيين ، وعزل عمال هشام ابن عبد الملك ؛ من ذلك ما رواه اليعقوبى (وعزل إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى خال هشام عن المدينة ومكة والطائف وولى خاله يوسف بن محمد الثقفى المدينة ومكة)[١]. ومن هذا الخبر البسيط الذى لا نود أن ننساق وراءه إلى كتب التاريخ يتبين لنا سياسة الوليد بن يزيد مع الثقفيين وهو أمر أدى بطريح وغيره إلى الثبات حول الوليد والمنافحة دون سياسته .

وإذا كنا نتحدث عن طريح وقد كان ينافح عن أميره ويؤيد سياسته ، فإن شعراً له كثيراً لابد أن يكون قد سقط من ديوانه شارك فيه وأيد به أميره فى سخطه على اليمانية حين قتل خالد بن عبد الله القسرى ، وجعل جل عماله من المضرية ومن القيسية وكانت أمه منهم ، وحين أطلت الفتن برأسها فى خلافته لم نر أثراً لهذه الخلافات والنزاع بين أفراد البيت الواحد فى شعره .

ولم يستمد طريح شخصيته وشعره من مكانته عند الوليد ، وإنما جاء إليه يسعى من الطائف ومعه شعره ، فى نسب عريق فى ثقيف ، يشرح فى شعره معنى السيادة البدوية فى الطائف ، ويشمخ بنفسه وبشعره حتى فى غرض الاعتذار ، فقد قصده من الطائف بعيداً عن كل ما يمس عبوديته لأحد من الخلق ، يقول :

---

(١) تاريخ اليعقوبى ٢ / ٣٣١ .

قَصَدْتُكَ عارياً من كُلّ قَـــنٍّ لكلّ الخَلْــقِ فى كلّ المَعَــانى[٤٥]

وإذا مدحه رجع الوليد بأكرم مما أعطاه له :

فأَرْجِعُ مَغْبُوطــاً وتَرْجِع بالـتى لَهَــا أَوَّلٌ فى المَكْرُمَاتِ وآخِــرُ[١٣]

وهو يحيك له الشعر وينظمه له نظم القلائد فيها الدر الذهب :

وَحَوكَى الشّـعْرَ أُصفِيه وأَنْظِمُــه نَظْــمَ القَلَائِدِ فيها الدُّرُّ والذَهَــبُ[٤]

فإذا وصل الوليد ماانقطع فهو أهل للمعروف ، وإذا دفعه عنه عاد إلى قومه فهم أهل كرام وقد فارقهم ولم ير فى غيرهم عوضاً :

فإنْ وَصَلْتَ فأهلُ العُرْفِ أنت وإنْ تَدْفَعْ يدىَّ فَلِى بُقْيَــا ومُنْقَلَــبُ
فارقتُ قَوْمِى فلم اعتَضْ بِهِم عِوَضاً والدهرُ يُحْدِثُ أَحْدَاثاً لها نُوَبُ[٤]

ومع ذلك فلم يكن طريح بالشاعر المغمور فابن عساكر يقول : « إنه شاعر حسن الشعر بديع النظم » . ويقول المرزبانى عنه : « كان طريح شاعراً مجيداً مكيناً حسن الفصاحة » ، وياقوت يعده الشاعر المشهور كل ذلك يدل على مكانته الشعرية فى بلاط الشام .

ويقتل الوليد سنة ١٢٦هـ . ويموت معــه ذكر الشاعر سنين ذوات عدد ، وقد أغفلت المصادر تماماً العلاقة بين طريح وبين غيره من الشعراء الذين التفوا بالوليد وهم كثيرون منهم : إسماعيل بن يسار النسائى والنابغة الشيبانى والحسين ابن مطير الأسدى وابن هرمة القرشى ويزيد بن ضبة الثقفى . وتسكت المصادر كذلك عن مسيرة حياته منذ مقتل الوليد وتفرق شعرائه فى أقصى الأرض ، ثم تفاجئنا بأن طريحاً « بقى إلى أول الدولة العباسية ومدح المنصور والسفاح »(١).

---

(١) عيون التواريخ ٥ / ٩٧ – تهذيب تاريخ دمشق ٧ / ٥٦ .

ويقول ياقوت « وأدرك دولة بنى العباس ، ومات فى أيام المهدى سنة ١٦٥ »(١)

وهذه أخبار يحيط بها شيء كثير من الغموض ، ومن الأفضل ألا نسلم بما قالوه تسليماً مباشراً دون تمحيص فى علاقته بالعباسيين . ذلك لأن ما وصل إلينا من شعر طريح ليس فيه بيت واحد فى مديح السفاح أو المنصور ، لسبب بسيط هو ما رواه الأغانى : أن طريحاً دخل على أبى جعفر المنصور وهو فى الشعراء فقال له : لا حياك الله ولا بياك ، أما اتقيت الله - ويلك - حيث تقول للوليد ابن يزيد :

لو قلتَ للسَّيْل دعْ طريقك والمـ ـوْجُ عليه كالهضْبِ يعْتَلِـجُ
لَسَاغ وارْتَدَّ أوْ لَكَانَ لـه فى سائرِ الأرْضِ عَنْكَ مُنْعَرَجُ[٦]

فقال له طريح : قد علم الله عز وجل أنى قلت ذاك ويدى ممدودة إليه عز وجل ، وإياه تبارك وتعالى عنيت . فقال المنصور : يا ربيع ، أما ترى هذا التخلص(٢). وقد روى ابن سلام أن طريح بن إسماعيل الثقفى دخل على المهدى وسأله أن يسمع منه فقال له : ألست الذى يقول للوليد بن يزيد :

أنْتَ ابنُ مُسْلَنْطَجِ البِطَـاحِ ولم تُطرَقْ عليك الحُنِىُّ والوُلُجُ[٦]

والله لا تقول لى فى مثل هذا أبداً ، ولا أسمع منك شعراً ، وإن شئت وصلتك(٣). وهذان الخبران يحكمان تماماً على علاقته بالعباسيين .

وتؤكد دائرة المعارف الإسلامية كراهية العباسيين للثقفيين ، مؤيدة رواية الطبرى ، يقول « لامنس » كاتب المادة : (وقد عنى العباسيون والعلويون بهذا الأمر ، ووضعوه نصب عيونهم لا ينسونه . وتسجل الروايات كراهيتهم للثقفيين ، وكيف ربطوا بينهم وبين المآخذ التى كان يلام عليها الأمويون ثم هم قد صوروا ، استناداً إلى ما وقع فى كربلاء وما منى به العلويون من فشل فى

(١) معجم الأدباء ١٢ / ٢٢ - الأغانى ٤ / ٣٠٨ .
(٢) الأغانى ٤ / ٣١٦ .
(٣) تاريخ الطبرى ١٠ / ١٩

استرجاع عرش الخلافة ، بأن النبى قد لعنهم . وقد اقترن فى أذهان العباسيين كراهيتهم للشيعة بالاضطرابات السياسية التى وقعت فى العراق فتأثروا بذلك تأثراً وجد له متنفساً فيما أحسوا به من مرارة خالصة حين كانوا يتذكرون أكابر العمال الثقفيين فى عهد الأمويين ، ومن ثم حاولوا أن يظهروا الطائف وأهلها الشجعان على صفحات التاريخ موصومين باللعنة »[1].

ومن هنا كان إيعاز العباسيين إلى الرواة بطمس كل معالم الشعر الأموى الذى مدح به الخلفاء الأمويون والذى نوهوا فيه بمفاخر الأمويين وصلاحيتهم للخلافة وتقواهم .ولعل لطريح شعراً مدح به المنصور أو السفاح إلا أن هذا الشعر لم يصل إلينا ، وفى رأينا أن العباسيين لم ينسوا أن طريحاً ظل وفياً للأمويين فترة حياته فى دمشق ، ولذلك رفضوا أن يمدحهم لأن اتجاهه السياسى فى نصرة الأمويين حال دون رفادة العباسيين ، وهكذا انتهى عهده بانتهاء عهد الأمويين ، واستطاع العباسيون أن يقتلوا فيه الشهرة والشعر ، وأفلحوا فى ذلك إلى حد بعيد .

وبعد ، فإن الطبرى بخبره السابق عن علاقة طريح بالعباسيين ينص على أنه دخل على المهدى وأراد مدحه أى أنه عاش إلى أيام المهدى ، وهذه الرواية – دون أن يحدد فيها تاريخ وفاته – تؤكد ما رواه أبو الفرج الأصفهانى وياقوت الحموى من أنه توفى فى أيام المهدى سنة ١٦٥هـ[2]. ويتعارض تاريخ وفاته هذا مع ما رواه ابن شاكر الكتبى من أن طريحاً توفى سنة ١٣٨هـ[3]، وهو أمر لا يستند إلى دليل آخر .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية : مادة (الطائف) ص ٥٧ .

(٢) الأغانى ٤ / ٣٠٨ . معجم الأدباء ١٢ / ٢٢ .

(٣) عيون التواريخ ٥ / ٩٧ .

الفصل الثانى

موضوعات شعره

تناول طريح فى شعره الذى وصل إلينا معظم موضوعات الشعر المعروفة ، وكان أكبر هذه الموضوعات عنده : المديح ، فما وصل إلينا منه يدل على أنه استفرغ شعره فى مديح الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان فى معظمه مديحاً سياسياً أسبغ فيه صفات الهدى والتقوى ونور الإيمان وسلامة السياسة وإرضاء الناس على خليفتهم . وكانت الحكمة باباً من أبواب الشعر عنده أشعرتنا بنظرته الحكمية إلى الحياة والأحياء ، تأثر فيها بالنظرة الفردية وبالحكم القديمة وبثقافته ، وألقت ظلالاً على شخصيته ومكانته فى مجتمعه فى الشام أو الطائف . إلا أن الحكمة فى شعره لا عمق لها ، فقد ضيق طريح منها حتى أصبحت مجرد حكم شخصية عامة لا شمول فيها .

وعلى قلة ما وصل إلينا من شعر الوصف عنده إلا أنه اهتم بوصف الأمور المادية المحسوسة كغيره من الشعراء ، كما قصد قصداً إلى وصف خلجات النفس ، ولقد تطور الوصف عنده بتطور الذوق العام فى القرن الثانى . أما رثاؤه فقد كان رقيقاً كرقة طريح إلا أننا نفقد أثر الرثاء السياسى ، فقد كان شاعراً أموياً ينتمى إلى حزب بنى أمية ، وتحول فى شعر الرثاء إلى ذاته فبكى ابنه فى نفسه ، وبكى شبابه ، وكأن الشباب عنده رمز لهذا النعيم الذى اتصل فترة من الزمن ثم مضى دون عودة .

ويأتى بعد ذلك شعره فى الشيب والشباب فانتصف لهما وعدل بينهما ، وقد شارك طريح بشعره فى فن الغزل ، وغزله من هذا النوع المعنوى العفيف تمسك فيه بأهداب الأخلاق ، مرتفعاً به عن شذوذ عصره ، وغزله من نوع الغزل التقليدى فى ثوب جديد حين أجرى فى عروق الغزل دماء جديدة . ولم

يكن طريح شاعر هجاء ، وقد تناول هذا الغرض عارضاً الهجاء بأسلوب يتفق مع أخلاقه من ناحية ومع التجديد الذى جرى عليه شعراء القرن الثانى من ناحية أخرى .

ويعتبر الاعتذار من أغراض الشعر القديم شهر به النابغة الذبيانى ، وقد أحيا به طريح غرضاً قديماً ، وكان للاعتذار جانب سياسى بوصفه شاعراً متحدثاً بلسان الوليد بن يزيد ، وله جانب اجتماعى حين خشى طريح على مكانته الاجتماعية . وسنوضح هذه الأغراض والمعانى التى تناولها طريح فى شعره .

أولاً : المديـــــح :

من أهم الفنون الشعرية التى تناولها طريح فى شعره فن المديح ، فقد اختص بالوليد بن يزيد ، واستفرغ شعره فى مديحه[١]، وقد وصل إلينا من شعر المديح قصيدة واحدة وعدة مقطعات ثم أبيات مفردة .

ونود من خلال هذه السطور أن نلقى الضوء على علاقة طريح بالوليد بن يزيد سياسياً وفنياً ، وإذا كان الباحثون لم يتناولوا الناحية الأولى فإنهم لم ينسوا الناحية الثانية وتناولوها بإسهاب كثير ، وأرجعوا كل تجديد فى القرن الثانى إلى الوليد بن يزيد : فى الغناء وخفة الأوزان ورقة الأسلوب والخمريات وما إلى ذلك . وواصل بعضهم الغلو فى ذلك دون اعتدال[٢]. وسنقصر الدراسة أول الأمر حول هذه العلاقة السياسية والفنية دون النظر إلى أبعاد أخرى .

أوردت المصادر مقطوعة من أربعة أبيات يمدح فيها طريح الوليد بن يزيد ، يقول فيها :

أَنْتَ ابنُ مُسْلَنْطَحِ البِّطَـاحِ ولـم　　تُطْرِقْ عَلَيْكَ الحُنِيُّ والوُلُـــجُ
طُوبَى لَفِرْعَيْـكَ مِنْ هُنَا وهُنَـا　　طُوبَى لأَعْرَاقِكَ التى تَشِـــجُ

---

(١) الأغانى ٤ / ٣١٠ وما بعدها .
(٢) تاريخ الشعر العربى ص ٢٩٥ وما بعدها .

لو قلتَ للسَّيْلِ دَعْ طريقَكَ والمـ ـوجُ عليه كالهَضْبِ يَعْتَلِجُ
لَسَاخَ وَارْتَدَّ أو لَكَانَ لـه في سائرِ الأرضِ عنك مُنْعَرَجُ[٦]

وإذا أمعنا النظر فى هذه الأبيات وجدناها تنبئنا عن علاقة طريح بالأمويين بشكل عام . والحق أننا لم نجد له شعراً مباشراً يمدح به غير الوليد بن يزيد ، كذلك لم يمدح غيره من الأمويين بعد مقتل الوليد .

ولقد احتفل طريح بالوليد فى هذه الأبيات احتفالاً كبيراً ، أبرز فيها عنصر السيادة القبلية فيه ، فهو من علية القوم الذين ينزلون أوسع مكان ، ومن ثم لا يخفى نسبه على أحد ، وهو ممن شرفت أنسابهم ، لأنه كريم الأبوين من قريش وثقيف (طوبى لفرعيك : أراد فرعه من قبل أبيه وهم بنو أمية ، وفرعه من قبل أمه وهم ثقيف)[١]، وهو ملك هذه الأبطح والمطاع فيها ، يمتلك كل من فيها ، وكل ما فيها حتى لو قال للسيل دع طريقك لانصاع إلى أمره ، فإذا صرفه كان على كل شىء سواه أقدر .

وتنبىء كذلك هذه الأبيات عن مديح سياسى فهمه العباسيون من بعد ، ففى الأغانى أن طريحاً دخل على أبى جعفر المنصور وهو فى الشعراء فقال له : لا حياك الله ولا بياك ، أما اتقيت الله – ويلك – حيث تقول للوليد بن يزيد (البيتان ٣ ، ٤) ، فقال طريح : قد علم الله عز وجل أنى قلت ذاك ويدى ممدودة إليه عز وجل وإياه تبارك وتعالى عنيت . فقال المنصور : يا ربيع : أما ترى إلى هذا التخلص[٢]. وقال ابن سلام : أخبرنى غير واحد أن طريح بن إسماعيل الثقفى دخل على المهدى فانتسب له ، وسأله أن يسمع منه ، فقال : ألست الذى يقول للوليد بن يزيد ... البيت الأول ، والله لا تقول لى فى مثل هذا أبداً ، ولا أسمع منك وإن شئت وصلتك[٣].

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٧ / ٥٦ .
(٢) الأغانى ٤ / ٣١٥ .
(٣) تاريخ الطبرى ٨ / ١٨٣ .

فهل فهم المنصور أو المهدى من الأبيات أن طريحاً شاعر انتصر للأمويين ، وأن أبياته من نوع المديح السياسى الذى يؤكد أحقية الوليد بالخلافة دون خصومه وأقاربه وخاصة عمه هشام بن عبد الملك ، أم أنه فهم منها شعراً لا يتفق مع ذوق العصر حين اختلفت أذواق الشعراء باختلاف المسببات لذلك . فى الحقيقة لا يتعارض الرأى الأول مع الثانى ، وكلاهما صحيح ، وسنعود إليه . وقد تمثل بالبيت الثانى وحده محمد الأمين أول ما ولى الخلافة حين قال لأبى محمد التيمى (يا تيمى وددت أنه قيل فىّ مثل قول طريح بن إسماعيل فى الوليد بن يزيد ... فإنى والله أحق بذلك منه)[1]. وهكذا تؤكد لنا الروايات أن طريحاً قصد قصداً فى هذه الأبيات إلى مديح سياسى بغرض الدعاية ، وتثبيت سياسة الوليد والانتصار له .

وفى أبيات أخرى يؤكد هذه الصلة القوية من رابطة النسب بين قصى (قصى بن كلاب) جده وقسىّ أصل ثقيف ، فهو يمثل أسمى فروع القريتين مكة والطائف ، وقد حاز المجد والجوهر الخالص بطرفيه فهو كريم الأجداد والأخوال رمز لاتحاد دمائهم ، وإن الدمن القفار لتخبرنا عن ذلك ، وبات من المعروف أنه قد أحاط نفسه بأحبائه ، وإن قلبه ليحكم بالحكم العادل فيرضى ، وإن طرفه لينكر ما يحيط به من مؤامرات تحاك ضده وضد سياسته ، يقول :

واعْتَامَ كَهْلُكَ مِنْ ثَقِيفٍ كُفْـأَهُ	فَتَنازَعَاك فأنتَ جَوْهَرُ جَوْهَـرِ
فنمتْ فروعُ القريتين قُصيُّهــا	وقَسِيُّهـا بك فى الأشَمِّ الأكـبر
تَسْتَخْبِرُ الدِّمَنَ القِفَـارَ ولم تَكُـنْ	لِتَرُدَّ أخبـارا على مُسْتَخْـبِرِ
فظللتَ تحـكُم بين قَلْبٍ عــارِفٍ	مَغْنَى أَحِبَّتِه وطَرْفٍ مُنْكِـرِ [١٩]

ويوضح وفرة ما يعطيه للسائلين والمحتاجين حين تضيق بهم سبل العيش ، حتى الغزلان لو انقطع عنها القوت وهامت على وجهها دون قائد تبحث عما يقيم أودها ، لهداها إليه خيره الذى أصبح بمثابة العلامات على الطريق إلى كرم مُعَبَّد ، عبده إليه الصادر والوارد بعد أن أغناهم من عوز ، يقول :

(١) الأغانى ٢٢ / ٧٦٨٤ .

لَوْ يُرْسِلُ الأَزْلُ الظِّبــــــــا ءَ تُرودُ لَيْسَ لَهُنَّ قَائِـــــــدْ
لتيمَّمَتْـــــكَ تَدُلُّهـــــــا ريَّـــاكَ للسُّبُلِ المَـــوَارِد
وإذا الرِّيَـــــاحُ تَنكَّــــرَتْ نُكْبــا هواجرُهـــا صَـــوَارِد
فالنـاسُ ســائلةٌ إليـــــــ ـكَ فصــادراً تُغْنِـــى وَوَارِد[٨]

وقد أشاد فى أبيات أخرى بكرمه ونفسه الراضية لطلاب المعروف فهو لا يطلق كلمة (نعم) إلا لأنها خلق فيه فقد تعود على العطاء والبذل فأصبح ممدحاً ، وهو من أهل بيت لهم شرف الدنيا ، فيهم صفاء النسب وخصال العرب الخلص ، فإذا حاربوا أذلوا أعداءهم ، وإذا سالموا أعزوا حلفاءهم ، وإذا عاهدوا وفوا بعهدهم ، وإذا حدثوا صدقوا الحديث لأنهم قادرون على الفعل إذا قالوا :

وَمَا نَعَمْ منك للعافِينَ مُسْتَجَـــلَةٌ من التَّخَلُّقِ لكـنْ شِـيَمةٌ خُلُـــق
ساهمتَ فيها وفى « لا » فاختصصت بها وطار قومٌ «بلا» و الذمّ فانْطَلَقُوا
قومٌ همُ شَرَفُ الدُّنْيَا وسُؤْدَدُهـــا صفوٌ على الناس لم يُخْلَطْ بهم رَنَقُ
إن حَارَبُوا وَضَعُوا ، أو سَالَمُوا رَفَعُوا ، أو عَاقَدُوا ضَمِنُوا ، أو حَدَّثُوا صَدَقُوا[٢٤]

أما وهو شاعره الخاص فعليه أن يشيد بحسن تقديره للعواقب ويؤيد بيعة الوليد بولاية عهده إلى ولديه بأنهما أهل لهذه المنزلة ، يقول :

لا قَصَّرا عَنْهـا ولا بُلِّغْتَهَــــا حَتَّى يَطُولَ على يَدَيْكَ طِوَالُهَـــا[٣٥]

ولعل من بين هذه الأبيات التى قالها فى بداية صلته بالوليد بيتين ، بين فيهما أنه ارتحل إليه يشفع له عنده نسب الوليد فى ثقيف ، كما يشفع له ضمير صاف سليم ، ويطلب منه أن يقابله بالبشر والترحاب فهو شاهد على معروفه ، مصداق ذلك ما يرويه المرزبانى من أن طريحاً « وفد على الوليد بن يزيد بن عبد الملك وتوسل إليه بالخؤولة بينه وبينه لأن أم الوليد ثقفية فخص به »(١)، ومن المستبعد أن يكون طريح قد ارتحل إلى غيره ، ولذا فالبيتان موجهان إلى الوليد يقول :

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٥٦ .

فإليكَ ارتحلتُ تَشْفَعُ لى قُــــرْ   بَى ونُصْــحٌ لكم وغَيْبٌ سَلِيـــمُ
فاكْسِنِى البِّشْرَ إنّه شـاهدُ العُـرْ   فِ كما شَـاهَد القنـوطَ الوجـــومُ[٤٣]

ولعل من بدايات الشعر الذى قاله فى الوليد بيتين آخرين ، يبين فيهما أنه قصده بشرف نسبه ومكانته من ثقيف ويبدو أن الوليد أغدق على كل الثقفيين حتى إن دنياه إذا منحته الثراء ما فكر أن يثنى عنانه إليها واكتفى بقرب الوليد عنها ، يقول :

قَصَدْتُكَ عَارِيـــا مِنْ كُلِّ فَــنٍّ   لِكُلِّ الخَلْــقِ فى كل المَعَــــانى
فلو دُنْيَــاىَ قابَلَــنِى غِنَــــاها   بِغَيْرِك ما ثَنَيْتُ لهــا عَنَــــانى[٤٥]

وهو يكرر هذا المعنى بعد أن توثقت صلته بالوليد من قصيدته يقول :

حَسْـبُ أمْرِىءٍ مِنْ غِنًى تَقَرُّبُــه   مَنْكَ وإنْ لَمْ يَكُــنْ له سَــبَدُ[١٠]

ويبدو أن معانى الجود التى أسبغها على الوليد كانت محل نقد من جاء بعده ، ولعل ما قاله سبب لرفض العباسيين أن يقول فيهم مدحاً الأبيات (٩ ، ١٣ ، ٢٧ ، ٤٤) . فإذا وقفنا عند قصيدته الدالية وهى التى وصلت إلينا كاملة وجدنا فيها – كما سنرى – الروح الإسلامية تسيطر على معانى المدح ، أكانت هذه الروح مقصودة لذاتها ؟ أم أنه جاء بها من قبيل الدعاية السياسية ؟ إن حسين عطوان يعتبر هذه القصيدة وثيقة تاريخية نادرة (فهى تكشف عن نضال الثقفيين بل القيسيين عن الوليد بن يزيد ، وما اصطنعوه من وسائل إعلامية لشد أزره ، وتقوية مركزه ، وللرد على أعدائه وتفنيد تخرصاتهم عليه)[١].

ومن هنا كانت المعانى الإسلامية أقرب إلى أن تكون مديحاً سياسياً من أن تكون مديحاً بغرض مادى . ويزعم طريح أن فى وجه خليفته نور الإيمان ، فإذا قال مضى ينفذ ما يقوله فهو صادق الوعد ، ولقد نفذ وعوده للناس قبل الخلافة يقولون : (إنه أجرى على زمنى أهل الشام وعميانهم وكساهم وأمر

(١) الشعراء من مخضرمى الدولتين ص ٥٢ .

لكل إنسان منهم بخادم ، وأخرج لعيالات الناس الطِّيب والكسوة ، وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام ، وزاد الناس جميعاً فى العطاء عشرة عشرة ، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة . وزاد من وفد إليه من أهل بيته فى جوائزهم الضعف . وكان وهو ولى عهد يطعم من وفد إليه من أهل الصائفة قافلاً ، ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة أيام)[1]، يقول :

فِى وَجْهِهِ النُّورُ يُستَبَانُ كَمَا — لاحَ سِرَاجُ النَّهَارِ إذْ يَقِدُ
يَمْضِى على خَيْرِ ما يَقُولُ ولا — يُخْلِفُ مِيعَادَه إذا يَعِدُ
وأنَّ ما قد صَنَعْتَ مِنْ حَسَنٍ — مِصْدَاقُ ما كُنْتَ مَرَّةً تَعِدُ[10]

وقد أنصف مخذولهم ، وأمن خائفهم ، وأغنى فقيرهم ، فسجد الناس شكراً لله على ما أولاهم الله من نعمة خلافته عليهم وعج أهل الأرض بحمد الله ، وقد ألف أهواءهم وجمع صفوفهم ، فماتت الأحقاد فى عهده ، وعاش الناس فى سلام آمنين وقد رزقه الله حبهم وطاعتهم ، يقول :

أنت إمامُ الهُدَى الذى أَصْلَحَ اللّـ — ـهُ به النَّاسَ بَعْدَ ما فَسَدُوا
لَمَّا أَتَى النَّاسَ أنَّ مُلْكَهُمُ — إليكَ قَدْ صَارَ أَمْرُه سَجَدُوا
وَاستَبْشَرُوا بالرِّضَا تَبَاشُرُهُم — بالخُلْدِ ، لو قِيلَ إنَّكُم خُلُد
وَعجَّ بالحَمْدِ أَهْلُ أَرْضِكَ حَتَّى كَـ — ـادَ يَهْتَزُّ فَرْحَةً أُحُد
واستقبلَ الناسُ عِيشَةً أُنُفا — إنْ تَبْقَ فيها لهم فقد سَعِدُوا
رُزِقْتَ من وُدِّهم وطاعتِهم — ما لم يجدْه لِوَالِدٍ وَلَدُ
أَثْلَجَهُم منك أنَّهم عَلِموا — أنَّكَ فيما وُلِيتَ مُجْتَهِد
أَلَّفتَ أهواءَهم فأَصْبَحَتِ الأَ — ضْغَانُ سِلْما وماتتِ الحِقَد
حَسْبُ امْرِىءٍ مِنْ غِنًى تَقَرُّبُه — مِنْك وإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَبَدُ
فأنتَ أَمْنٌ لِمَنْ يَخَافُ وللـ — مَخْذُولِ أَوْدَى نَصِيرُه عَضُد[10]

---

(١) تاريخ الطبرى ٧ / ٢١٧ .

إلا أن الأغانى يروى أن الثائرين عليه وضحوا أن نقمتهم عليه كانت لانتهاكه ما حرم الله ، وشرب الخمر والفساد والإفساد ومجاهرته بالفسق[1]، ومن هنا قام شعراء الوليد بن يزيد ينافحون عنه ، ومنهم : طريح بن إسماعيل الثقفى وأبو نخيلة التيمى ، ويزيد بن ضبة الثقفى ، وإسماعيل بن يسار النسائى ، وحدث عن شعراء الكوفة ولا حرج من أمثال مطيع بن إياس وحماد عجرد وشراعة بن الزندبود ، وكفانا بذلك دليل على فسقه ، ومن هذا الدليل نطرح دليلاً آخر على أن طريحاً أو غيره كانوا دعاة سياسيين ، وكان شعر المديح عنده شعراً سياسياً ، ولننظر إلى معانيه فقد أغدق على خليفته الصفات الإسلامية ، فهو – كما قلنا – فى وجهه النور ، وهو إمام الهدى أصلح الله به أمر الرعية بعد فسادها ، وقد رفعه الله بالكرم والتقوى ، وقد ساق مدحه لأصالته ونسبه الأموى الذى لا يعلو فوقه أحد ، فهو من قوم إذا خذلوا أحداً لا يعز ، وإذا رفدوا أحداً لا يذل ، فيهم نقاء الأصل والحلم ، وخيرهم وشرهم حاضر .

مِنْ مَعْشَرٍ لا يَشَمُّ مَنْ خَذَلُوا عِزًّا ، ولا يُسْتَذَلُّ مَنْ رَفَدُوا
بِيضٌ عِظَامُ الحُلُومِ حَدُّهُم مَاضٍ حُسَامٌ ، وخَيْرُهُم عَتَدُ[١٠]

وهو يحاول أن يصبغ على قوله صفة الصدق وأن ما قاله فى الوليد لا يتعدى الحقيقة التى عرفها الناس جميعاً .

قَدْ صَدَّقَ الله ما دِحِيكَ فَمَا فِى قَوْلِهِمِ فِرْيَةٌ وَلَا فَنَدُ[١٠]

هذه هى المعانى التى جاءت فى شعر طريح وسنعود إلى معانى المديح عند الدراسة الفنية .

---

(١) الأغانى ٦ / ١٣٥ .

ثانياً : الحكمـــــة :

ليس هذا الغرض بجديد على شعراء القرن الثانى ، إنما هو غرض قديم فى شعر الجاهليين والإسلاميين على السواء . ولذا فهو غرض مجدد أحياه شعراء القرن الثانى صياغة ومضموناً . وأمامنا فى هذا الجانب عدة تساؤلات : هل لشعر الحكمة عند طريح صلة بطريقته الفنية وبشخصيته وثقافته ؟ وما الموضوعات التى طرقها فى ثوب الحكمة ؟ أتحدد نظرته فى الحياة ومسلك الأيام معه ؟

إن الحكمة عادة ما تكون نصحاً أو موعظة أو ضرباً بالمثل ، وقد تكون كذلك نظرات تأملية ، وتخليد طريح للصفات الحميدة ومآثر الأعمال يعد كذلك باباً من أبواب الحكمة ، « ولا شك أن هذا الاتجاه الحكمى لا يصل إليه صاحبه شعراً إلا إذا توافرت له عناصر تتصل بالحكمة اتصالاً وثيقاً ، وتؤلف أدواتها ومادتها ، من حس دقيق ، وذكاء لماع ، ويد صناع ، وثقافة فكرية وأدبية واسعة ، وخبرة بالحياة والناس »[1].

وقد اتسع شعر الحكمة ، واتسع مضمونه وطريقة تناوله والاهتمام به فى القرن الثانى ، ذلك لعدة مؤثرات منها : الترجمة عن الأمم الأجنبية ، واتساع آفاق الثقافة[2] وترسيخ الحكمة النابعة من القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما يدعو إليه القرآن الكريم والسنّة النبوية من أخلاق وفضائل وزهد ، ونقصد من ذلك أن الحكمة ينبوع الزهد منه يستقى ، وإن كان ثمة اختلاف فى اتجاه كل منهما شعراً « فعلى الرغم من التقائهما فى ناحية أو أكثر إلا أنهما يفترقان افتراقاً واضحاً . فالزهد مذهب فى الحياة له قواعده ورسومه الخاصة ، وله ملابسه وفرائضه المعينة . ويفترض فى متبعى هذا المذهب أن يتجردوا لله ويعكفوا على صلواتهم فى خلوة من البشر متجردين من الترف وزخرف الدنيا ، لا يبتغون عرضاً من أعراضها ، ولا

(١) مجلة كلية الآداب – ص ٤٨ – مقال الأستاذ / محمد خلف الله أحمد .

(٢) اتجاهات الشعر العربى – ص ٤٧٥ .

مطلباً من مطالب الحياة المادية التى يقبل عليها الإنسان العادى . أما الحكمة فهى – إن لم تكن تجربة ذاتية – مذهب فى الشعر لا فى الحياة ينظم فيه صاحبه بتأثير نظرة فلسفية للكون وحقائق الأشياء فيه بحكم ثقافته أو تكوينه الفكرى ، ولا يطلب منه شىء وراء ذلك . فليس هناك قواعد ولا رسوم معينة للشعراء الحكماء . وليس هناك فرائض عليهم أداؤها ، ولا أى تقليد آخر مثلما يفترض فى الزهد[1].

ومن بين هذه النظرات الخلقية التى تشعرنا بشخصيته وتدينه وثقافته نظرته إلى التقوى التى يجب أن يضعها الإنسان نصب عينيه ويجعلها ثوبه وشعاره الذى يرتديه يقول :

فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللهِ واجْعَلْ أَمْرَهَا دُثُرًا ، ودُونَ شعَارِكَ المُسْتَشْعَرِ [١٧]

وإذا كان الإنسان كثير العيب على الناس ، كثير الترصد لسقطاتهم ، فإن عليه أن يحذر من قوله هذا لأن الناس راصدون أيضاً ما يقول :

إنْ كُنْتَ عَيَّاباً على النَّاسِ فاحْتَرِسْ لنفسِكَ مِمَّا أنتَ للنَّاسِ قَائِلُه [٣٦]

وفى ثوب من الحكمة خلطه بشىء من الزهد يحذر من ملء البطون ، فالإنسان لابد أن يأتى عليه يوم يلفظ ما يلوكه من طعام ، فليس الأكل هو الغاية التى يسعى إليها الإنسان ، يقول : وإن كان لا يعجبنا كثيراً تكرار حرف الكاف فى البيت :

دَعْ بعضَ أُكْلِكَ ، رُبَّ آكِلِ أُكْلَةٍ يوما سيلفُظُها إذا هُوَ لَاكَهَا [٢٨]

وهو يتجه فى بعض أبيات الحكمة إلى الإنسان ، فيقف معلماً ومربياً وناصحاً وواعظاً ، عظات لا شك لها علاقة بمسلكه فى الحياة ، وتجاربه مع الأيام ، ونظرته إلى الحياة والأحياء . يرى بعضهم يجلس فى الندى فيخترع قصة يعيا بها ، ولا يكاد يصل أول الحديث بآخره ، ولا يربط بين أجزاء

(١) اتجاهات الشعر العربى – ص ٤٧٤ .

الكلام فيخل ذلك - حتماً - بمكانته وقدراته العقلية ، وموضعه من قلوب الآخرين . فينصح له أن يثقف حديثه ، ويحكمه ، ويحصيه ، قبل أن يصل إلى الناس ، فالكلام يدل على صاحبه ، وإن الرجل ليظل مجهولاً حتى يتكلم فإذا تكلم ظهر ، يقول :

وإذا جَلَسْتَ مع النَّدِيِّ فلا تَصِلْ ... لهم الحَدِيثَ بِقِصَّةٍ تَعْيَاهَا
حتَّى تُثَقِّفَهَا وتُحْكِمَ وَعْيَهَا ... فَتَبِيتَها كَحَدِيثِ مَنْ أَحْصَاهَا[٤٧]

فإذا أنعم الله عليه نعمة ، ورزقه من فضله العميم ، وأراد الزيادة فى ذلك فعليه بالطريقة : إن شكر النعمة يزيد منها ، أراد المعنى عن طريق المثل متأثراً بقول الله سبحانه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم ٧ : يقول :

ماذا خُصِصْتَ بنعمة ورُزِقْتَهَا ... من فَضْلِ ربِّك مِنَّة تَغْشَاها
فابْغِ الزِّيَادَةَ فى الذى أُعطِيتَه ... وتَمامُ ذاك بِشُكْرِ مَنْ أَعْطَاهَا[٤٧]

واتْرُكْ مُصَاحَبَةَ اللِّئَامِ وَدَعْهُمُ ... تَرْكَ المَخُوفَةِ بالرَّدَى عَدْوَاهَا[٤٧]

فإذا كان فى مجلس القوم فعليه أن يتمسك بالحكمة والتعقل وليترك معاندة اللجوج ، ولا يكن كثير التيه والفخر كثير الهذر والسقط فإن ذلك يسقط منزلته بين أخوانه ، وأنت تراه يتكىء على هذا الجانب فى أبياته لعلمه أن مجلس القوم لا يضم إلا العقلاء ، فى جلستهم رصانة وجدة وتعقل وحكمة ، يقول :

واتْرُكْ مُعَانَدَةَ اللَّجُوجِ ولا تَكُنْ ... بين النَّدِيِّ هُذَرَةً تَيَّاهَا[٤٧]

وتمام الأمر للإنسان فى ألا يعتب على أمر ثم يأتيه ، فإذا عتب على أخ فى حاجة له احتاجها ، ورآه قد أنس الذلة حين بدت عليه الحاجة فليحذر أن يقع فى مثل هذا الأمر فينتشر عنه الخبر ويذل كما ذل صاحبه ، يقول :

وإذا عَتَبْتَ على امْرِىءٍ فى خَلَّةٍ ... ورأيتَه قد ذَلَّ حين أَتَاهَا
فاحْذَرْ وقوعَك مَرَّةً فى مِثْلِهَا ... فَيَبُثُّ عنك نُضُوحَها وثَنَاهَا[٤٧]

وأراد أن يرينا منه حكمة التعامل مع الناس ، ذلك أنك إذا أسكنت قلب آخر غيظاً وحقداً ، ثم توالت الأيام – وظننت أن الجرح سيندمل ، وأن الأيام ستشفى غيظ القلوب وأحقاد النفوس ، فإنك واهم فى ظنك وعليك ألا تأمنه ، واقبل ما يبديه لك ، وكن على حذر منه فإن الحذر سيحرسك ،

لا تأمَنَنَّ امْرءاً أسكنْتَ مُهجَتَــه غَيْظاً وإن قِيل إنَّ الجُرْحَ يَنْدَمِلُ
واقْبَلْ جَمِيلَ الَّذِى يُبْدِى وجازِ بِه وليحرسنَّك من أفعالــه الوَجَــلُ[٣١]

والإنسان دائماً ينظر نظرة معينة إلى المال ، والشاعر يرددها لنا مع توالى الأجيال واختلاف السنين إلا أن النظرة لم تتغير ، فالمال جماع المعايب يحمد المرء قدره إذا أتاه بالثراء ، ويلوم قدره إذا لم يوافه ، والناس أعداء للفقراء ، أخوة للأثرياء ، فإذا كان الإنسان جاهلاً للمعروف أنكر طريقه يقول :

والمالُ جُنَّةُ ذى المَعَايِبِ إنْ يُصِبْ يحمد وإن يدع الطريقةَ يعــذر
والمرء يحمد أنْ يصــادِفَ حَظُّــه قَدَرٌ ، ويعــذل فى الذى لم يقــدر
والناس أعداءٌ لكلِّ مدقــــع صِفْـرِ اليدين وأخوةٌ للمُكْـــثِرِ
وإذا امروٌ فى الناس لم يَكُ عارفــاً بالعُرْفِ ، لم يك منكراً للمنكــرِ[١٨]

وينظر طريح إلى الشيب نظرة حكمية كذلك فيراه من جهل الصبا وطيشه ولكن أبدل بالصبا الفضيلة ،

والشَّيْبُ للحُكَمَـاءِ من سَفَهِ الصِّبَا بَدَلٌ تكونُ له الفضيلةُ مُقْنِــعُ[٢٢]

وأنت لا شك تلاحظ الصياغة الجديدة فى تناول فكرة قديمة ، فإذا أردت المزيد من ذلك ، فاقرأ معنا هذه الأبيات :

أَلم تَرَ المَرْءَ نَصْباً للحَوَادِثِ مــا تَنفَكُّ فيه سِهَامُ الدَّهْرِ تَنْتَضِــلُ
إنْ يُعْجِلِ المَوْتُ يَحْمِلْه على وَضَحٍ لَجْب مَوَارِدُه مَسْلُوكَــةٌ ذُلُـــلُ
وإنْ تمادتْ به الأيــامُ فى عُمُــرٍ يَخْلَقْ ، كما رَثَّ بعد الجِدَّةِ الحُلَل
ثم يَصِيرُ إلى أنْ يستمرَّ بـــه رَيْبُ المَنُونِ ولو طالتْ به الطِّيَل
والدَّهْرُ ليس بِنَــاجٍ من دوائــره حىٌّ جَبَــانٌ ولا مُسْتَأسِدٌ بَطَـلُ

ولا دفينُ غَيَابَاتٍ لـه نَفَـقٌ   تحت الترابِ ولا حُـوتٌ ولا وَعَل
بل كُلُّ شَئٍ سَيُبْلِى الدَّهْرُ جِدَّتَهُ   حتَّى يَبِيدَ ويَبْقَى الله والعَمَـل[٣٠]

إن نفاذ فكره فى مسيرة الأيام وحوادث الدهر ألقى بهذه الأفكار إلينا ، فالإنسان عادة ما يكون صدراً لسهام الدهر ، وإن الحوادث قد نصبت نفسها لتصيب الإنسان ، فمن تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم ، فإذا أعجله الموت حمله على طريق مذللة مسلوكة ، وإذا تمادت به الأيام ، وطالت عليه السنون يبلى كما تبلى الحلل ثم يصير إلى نهايته . وهكذا الدهر لا ينجو منه جبان أو شجاع أو من سكن فى نفق أو كان تحت التراب ، بل كل شيء هالك إلا وجه الله وعمل الإنسان .

أرأيت إلى صياغة الفكرة إنها حكمة قديمة تشعرنا بنظرته الحكيمة إلى الحياة والأحياء متأثرة بالنظرة الفردية وبالحكمة القديمة فى النظرة إلى الحياة والأحياء ، ولكنه صاغ هذه المعانى فى أسلوب جديد بعيد عن صياغة الجاهليين ، قريب من التأثر بالقرآن الكريم ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ القصص : ٨٨ ، وهكذا أوضح طريح فى الجانب الحكمى فى شعره نظرته الفردية ، وتجربته الشخصية وثقافته ، ولعلها ألقت ظلالاً على شخصيته ومكانته فى مجتمعه فى الشام أو فى الطائف ، إلا أن الحكمة فى شعره لا عمق لها ، فإذا كان مجالها الإنسان فلقد ضيق منها حتى أصبحت مجرد حكم شخصية عامة لا شمول فيها .

ثالثاً : الوصـــف :

ليس ثمة شاعر يخلو ديوانه من هذا الغرض ، وإن كان قليلاً فى شعر طريح المجموع . فما الذى وصفه ؟ أهو ما وقع تحت الحواس من أمور محسوسة ؟ فيكون كغيره من الشعراء ، أم أنه اهتم بوصف خلجات نفسه فأظهر المعنويات ؟ إن الجانب الثانى وهو الوصف المعنوى موضع التميز بين الشعراء ، ونقصد به أنه جانب ابتكارى يظهر فيه قدرة الشاعر على الخيال أكثر من

الجوانب المحسوسة . وإلى أى مدى تطور الوصف عند طريح بتطور الذوق العام فى القرن الثانى ؟ لنتمهل كثيراً فى عرض موضوعات الوصف عند طريح حتى نتبين الاتجاه الفنى الذى ينحو إليه .

إن طريحاً يصف فى بيتين له فتيات منعمات فيهن من الحسن ما يخلب الألباب ، منعمات حلين صدورهن بعقود من الدر كأنها النجوم بريقاً وجمالاً على صدور تلمع فى الضحى كأنها البيض بالأدحىّ ، يقول :

كالبَيْضِ بالأُدْحِىِّ يَلْمَعُ فِى الضُّحَى ... فالحُسْنُ حُسْنٌ والنَّعِيمُ نَعِـــيمُ
حُلِّـينَ مِن دُرِّ البُحُورِ كَأَنَّـــه ... فوق النُّحُـورِ إذا يَلُوحُ نُجُـــومُ[٤١]

وتتوالى الأوصاف فى بيت واحد ، فيصف رجالاً بأنهم أسود فيهم قوة الصدر ، والدفع القوى لأعدائهم ترى فى وجوههم كراهة أعدائهم لهم ، وكأنهم فى قوتهم ودفعهم ثور عربى لا سنام له . ولعل صاحب اللسان حين استشهد به أراد أن يبين قدرة طريح على صياغة مثل هذه الأوصاف ، يقول :

غُبْسٌ خَنَابِسُ كُلُّهُـــنَّ مُصَـــدَّرٌ ... نَهْدُ الزُّبُنَّـةِ كالفَرِيشِ شَـــتِيمُ[٤٢]

أما الدرع فيصفها بالبياض والنصاعة كأن النور يسرى فى أرجائها ، وهى من القوة حتى إن سنان الرمح ينثنى عنها وقد تثلم ، والسيف وقد تهشم :

عليه فَضْفَاضَةٌ الأَرْدَانِ ضافِيَـــةٌ ... كأنَّمـا جالَ فى أرجائها النُّـــورُ
يَفِىءُ عنهـا سِنَانُ الرُّمْحِ مُنْثَلِماً ... ويَنْثَنِى السيفُ عنها وهو مَطْـرُورُ[١٤]

وأبيات مقتضبة نكاد نشعر فى أحدها بما يسميه البلاغيون (الاستدارة) التى كنا نراها كثيراً عند الجاهليين وعند الأعشى خاصة ، ولعله فى هذا البيت يصف روضة تسمع فيها زجل البعوض وتأنس الروضة به ، تسقى مجارى مياهه الأثول والأراك ، يقول :

ما مُسْبِلٌ زَجَـلُ البعوضِ أنِيسُـــه ... يَرْمِى الجِـرَاعَ أثولَهَـا وأرَاكَهـا[٢٦]

ويصف هذا الجيش القادم من الشام على دفعات فى غداة باردة ، يأتى شيئاً بعد شىء كالدفعة من المطر ، يقول :

فيُجْلَبُ من جَيْشٍ شَآمٍ بِغَـــارَةٍ   كشُؤْبُوبِ عَرْض الأَبْرَدِ المُتَنَـــلِّلِ[٣٧]

ويصف رجلاً محارباً وقد تلبد شعر رأسه وتغير متحملاً للمشاق جلداً طويل القامة ، فيقول :

وأشْعَثَ طَـلَّاعِ الثَّنايا مُبَـــارَكٍ   يَحُولُ نِجَادَ السَّيْفِ وهو طَوِيــلُ[٣٣]

هذه أوصاف كلها محسوسة تنم حتماً عن اتجاه الوصف المادى التقليدى عنده ، وما وصل إلينا من شعره يضيق من نطاق وصف ما وقع تحت الحواس . وينبىء عن اتجاهه القديم فى الوصف ، فإذا أعدنا النظر فى أبياته المفردة رأينا فيها جانبين : الخشونة فى اللفظ والتصوير ، كما نلحظ على بعض الألفاظ رقة وهو أمر قليل . ولكن أين أوصافه للحضارة الأموية فى دمشق ، وقد دخل بغداد كما نص على ذلك المؤرخون فأين انبهاره بمظاهر الحضارة فيها ؟ أين مجال الفتنة فى الوصف ؟ ولا أعتقد وطريح شاعر كبير أن يخلو ديوانه هكذا من تعدد الجوانب فى الوصف فلا يقتصر على هذه البوادر والأبيات المفردة التى عرضناها ، وأين ذاتية الشعر فيها ؟ وأين وصف الطبيعة وما فيها من رقة وجمال ؟ كل ذلك لا نكاد نعثر له على أثر ، وربما تنبئنا المصادر من بعد على باقى شعره .

أما طريح فى وصفه المعنوى فأمر يختلف عما قلناه تماماً وكأن ما صدر فى جانب الوصف المادى من شاعر يختلف عن طريح فإذا أراد أن يصف مدى ما يكابده من ألم وهم ثقيل حرمه من النوم فبات ليله ساهراً لا يسرى فيه حتى يفرج عن نفسه همه ، ولم يكن أرقه عن لذة يحياها ، وإنما كان أرقه لهمه وشجونه وأحزانه ، نام الخلى ولم ينم ، إذا أراد إلى تلك المعانى الرقيقة ليصف بها نفسه قال :

نامَ الخَلِيُّ مِن الهُمُومِ وبـاتَ لِى ... لَيْلٌ أُكَابِدُه وهَمٌّ مُضْلِــــــعُ
وسَهِرْتُ لا أَسْرِى ، ولا فى لَـذَّةٍ ... أَرَقِى ، وأَغْفَلُ ما لَقِيتُ الهُجَّــــعُ[٢٠]

وإذا مدح الوليد أعطى له صورة وصفية عطرة يشم أريجها كل من أراد معروفه :

لتَيَمَّمَتْــــكَ تَدُلُّهـــــا ... رَيَّـــاكَ للسُّبُلِ المَـــوَارِدِ[١٨]

وسنقف على هذه الصور عند الدراسة الفنية . وإذا أردنا المزيد فلنقرأ له وصفه النفسى حين يتغزل فستجده رقيقاً باكياً عديم الصبر على الفراق[١٠]

وهذا كله يدل على وجود منهجين فى الوصف : منهج يروح فيه مقلداً القدماء ويستعير منهم صورهم وألفاظهم ، ومنهج رقيق تشم فيه رقة الحضارة وجمال الألفاظ حتى تأتنس بها لأنه أراد إلى ذلك .

ويدخل ضمن الوصف حديثه عن :

الشـــيب والشـــباب :

وليس عندنا فيما جمعناه من شعر طريح قصائد يستهلها بمقدمة الشباب والشيب ، ولقد وقع هذا الغرض فى شعر الجاهليين « غير أن أشعارهم التى بكوا فيها شبابهم لم تكن مقدمات لقصائد بل كانت أبياتاً معدودات أو مقطوعات مستقلة عن الموضوعات التقليدية . أما سائر الشعراء الجاهليين فهم الذين افتتحوا مطولاتهم فى المدح والهجاء والفخر وبكاء الشباب ، مبدئين ومعيدين فى المعانى التى أصلها المعمرون ، فقد تفجعوا فيها على شبابهم وجزعوا من مشيبهم .. أما فى العصر الأموى فلم يكثر الفحول من استهلال قصائدهم بها ، وبذلك تحولت على أيديهم من اتجاه فرعى – كما كانت فى الجاهلية – إلى

اتجاه ثانوى . وأيضاً لم تظهر فى مقدماتهم من هذا النوع بعض التأثيرات والمعانى الإسلامية »(١).

وفى شعر طريح ثلاث مقطعات تختلف طولاً وقصراً تحدث فيها عن الشيب والشباب ، ولعلها كانت مقدمات قصائد ، ولعلها كانت قصائد مستقلة ، وما بقى لنا من شعره ينبىء عن ذلك فالمقطوعة ٢٢ ، ٣٠ مقطوعات كاملة تكاد تستقل بهذا الغرض والحديث عنه وقد احتفل فيها بهذا الغرض وحلل فيه أفكاره وخواطره ومشاعره تحليلاً دقيقاً ، تفجع فيه على شبابه الضائع ، وجزع فيه من مشيبه الذى حل به ، وربط بين المشيب والثوب الخلق البالى وبين الموت ، بعد أصبح الشعر الأسود ماضياً ، وبعد أن التحف ملاءة المشيب فاسترجع وبكى هذه الأيام ، يقول :

ذَهَبَ الشَّبَابُ وصِرْتُ كالخَلَقِ الذى ... إلّا تُعَاجِلُه المَنِيَّـةُ يَهْمَـــدِ
حتى التحفتُ من المَشِيبِ مُلاءةً ... عُقْبَـاك من شَعْرِ الشَّبَابِ الأَسْــوَدِ[١٢]

فإذا اطمئننا إلى هذا أدركنا أن هذا الغرض أيضاً قديم وقع كثيراً فى شعر الجاهليين والإسلاميين على السواء ، وحين أعاده طريح غرضاً مجدداً أمكنا أن نلمس فيه تغيراً فى الاتجاه الدينى لا الاتجاه الفنى ، ويعلل حسين عطوان لذلك فيقول : « أما اختفاء مقدمة الشباب والشيب من صدور قصائدهم فالراجح أنه يعود إلى أن الإسلام حل لهم ما كان أسلافهم من الجاهليين يتساءلون عنه ، ويبحثون عن جواب مقنع له . فهم إنما كانوا يتغنون بالماضى غناء حزيناً ، ويألمون عليه ألماً شديداً ، لأن الحياة الأخرى لم تكن واضحة أمامهم ، لكى يطمئنوا ويزهدوا فى الحياة الدنيا ومتعها وملاهيها ، أما الشعراء الإسلاميون فكانوا على بينة من أمرهم ومصيرهم . فالحياة الدنيا كما يصورها القرآن ليست إلا متاعاً زائلاً يخلفه متاع أبدى ونعيم سرمدى(٢).

---

(١) مقدمة القصيدة العربية ص ٩١ .
(٢) مقدمة القصيدة العربية ص ١٩١ .

وفى إحدى مقطوعاته التى تحدث فيها عن الشيب والشباب يقول المرتضى : « وممن عدل بين الشيب والشباب ومدح كل واحد منهما طريح بن إسماعيل الثقفى »(١). إن طريحاً يربط بين الشيب والحكمة ، فالشيب حكمة تبعده عن سفه الصبا ، وهو أقرب إلى المروءة والورع والتقوى .

وتَرى المَشيبَ مُبصِّرا ومُحَكِّمــا ... كُلٌّ يَغُولك نازلٌ ومُـــوَدِّع
والشيبُ للحكماءِ من سَفَهِ الصِّبـا ... بَدَلٌ تكونُ له الفَضِيلَةُ مُقْنِــع
والشيبُ زينٌ ذوى المروءةِ والحِجَا ... فيه لهم شَرَفٌ وحَـقٌّ تَــوَرُّع
والبِرُّ تَخْلِطُه المروءةُ والتُّقَــــى ... فى حالِ أشيبَ جسمُه مُتَضَعْضِع[٢٢]

أما الشباب فيرتبط بالغواية والفساد ومع ذلك فهو يحبه ولو ربطه بالعمى ، ويتعرض الشباب للمهالك فإن اغتبط فى يومه وفرح بما أوتيه ، وجم مما يخبأ له فى الغد ، إن الشيب غاية الإنسان ونهايته ، فمن يجزع منه لا يستطيع دفعه عنه ، وهو معنى إسلامى فيه الإيمان بقضاء الله وقدره ، وهذا هو معنى ما قلناه من النظرة الجديدة التى تحمل اتجاهاً دينياً .

أَهْوَى إلىَّ مِن الشَّبابِ مع العَمَى ... والغَىُّ يتبعُـه الغَوِىُّ المُهْـــرَع
إنَّ الشبابَ عَمًى لأكثرِ أهلِـــه ... وتعرضٌ لِمَهالكٍ وتَقَـــرُّع
إنْ تغتبـطْ فى اليوم تُصبِحْ فى غد ... مِمَّا خَبَا لك واجِمـا تتوجَّـــع
والشيبُ غاية من تأخر حَيْنُــــه ... لا يســتطيعُ دفاعَه من يَجْـــزَع[٢٢]

وإذا كان للشباب لذة ، فإن للشيب عاقبة أكثر نفعاً ، وكذلك فإن الحسان لا يستوى عندها الشباب بالشيب ، وكأنما أبصرن فى الشيب حية تلذع ، فإذا حل بك الشيب ورحل عنك الشباب فقل ما يقوله المسلم حين يسترجع ، يقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ البقرة : ١٥٦ .

إنَّ الشبابَ له لذاذةُ جِــدَّةٍ ... والشيبُ منه فى المَغَبَّةِ أنفَـــع
لا يَستَوِى عند الكواعِبِ لابسٌ ... ثوبَ الشَّبابِ ولا الكبيرُ الأنْـزَع

---

(١) أمالى المرتضى ١ / ٦٠٢ .

خَلَع الشبابُ جديدَه عن ناحِلٍ ... خَلَقٍ بمَفْرِقة المَنِيّةُ تَلْمَع

فكأنَّما أَبْصَرْن حِينَ رَأَيْنَه ... بالشيبِ حَيَّةَ غَيْضَةٍ تَتَلَذَّع

فَجَبُنَّ منه وانْقَبَضْنَ تَحيُّرا ... مكرَ المُخَادع يَبْتَغِى مَن يَخْدَع

لا يبعد الله الشباب ومرحبا ... بالشيب حين أوى إليه الموجع

فدع البكاء على الشباب وقل له ... ما قال عند مصيبة مسترجع[٢٢]

وطريح فى مقطوعته الثانية يربط ما بين المشيب وبين انقضاء عهد الفتوة والغزل ، ويتألم كثيراً للشيب الذى حلَّ به برحيل الشباب ، ويتوجع كثيراً لأنه عدم الحيل فى إرجاع الشباب فله نور ورائحة وفتوة تلقى به الوجوه فتجد له عندهم قبولاً وابتساماً وهوى ، أما الشيب فإن معارفه ينكرونه أو يملونه ، يقول :

حَلَّ المَشِيبُ ففرقُ الرأس مُشْتَعِلُ ... وبان بالكُرْه منا اللَّهْوُ والغَزَل

فَحَلَّ هذا مُقِيماً لا نُرِيدُ لنا ... تَرْكا ، وهذا الذى نَهْوَاه مُرْتَحِل

شَتَّانَ بينهما لو دافَعَتْ حِيَلٌ ... مكروهَ ذاك ولكن تُغْلَبُ الحِيَل

هذا له عندنا نُورٌ ورائِحَةٌ ... كَنَشْرِ رَوْضٍ سَقَاهُ عارِضٌ هَطِل

وجِدَّةٌ وقَبُولٌ لا يَزالُ له ... من كُلِّ خُلْقٍ هَوًى أو خُلَّةٍ نَفَل

والشيبُ يَطْوِى الفَتَى حتى مَعَارِفُه ... نُكْرٌ ومَنْ كان يَهْوَاهُ به مَلَل[٣٠]

وهذا الربط جعل حسين عطوان يقول : (وكلما نظرنا فى أشعارنا التى بكوا فيها شبابهم وجدناهم يفصحون فيها عن عقدة الحرمان من المرأة والمتاع بها ، واقرأ هذه المقطوعة لطريح فإنها تدل على ذلك دلالة قوية (ق ٣٠) ، فهو مغموم مكتئب لأن الشيخوخة ذهبت بجماله وحيويته وتوهج إحساسه ، ومنعت المرأة من الكلف به ، والتهافت عليه ، بعد أن كانت فى عهد الشباب مفتونة به ، متهالكة عليه .. وأكبر الظن أن بكاء هؤلاء الشعراء لشبابهم ، بل لهفتهم على ملذاتهم إنما هو نتيجة لشيوع موجة المجون والإباحة فى عصرهم ، وامتلاء دور النخاسة بالجوارى والإماء المتبرجات اللاتى كن يتنافسن فى إغوائهم وإرضائهم ، فإن أكثرهم كانوا مولعين بالبطالة واللهو ، وربما اتخذوا

من بكائهم لشبابهم وسيلة إلى التعبير عن يأسهم وقنوطهم من الحياة ، ورمزاً لحرمانهم وحظوظهم العاثرة ، وأمانيهم السياسية الضائعة ، فإنهم جميعاً كانوا مراقبين منبوذين من العباسيين ، إذ كان بعضهم من مؤيدى الأمويين)[1].

ولقد توسع حسين عطوان فى إعطاء شعر طريح أكثر من تحليل نفسى ، فلم يكن وصف طريح للشيب والشباب إلا تقليداً لمن سبقه من الجاهليين ، وما يصدق على طريح قد لا يصدق على غيره ، ولا شك أن الأجواء فى الشام قد امتلأت بدور النخاسين والجوارى والإماء المتبرجات ، وهذا أمر يجد الشاعر فيه متنفساً عما يشعر به من القنوط بذهاب الشباب ، وهذا أمر آخر لا يصدق على طريح كما يصدق على غيره أو على أقرانه ، فما عرف عن أخلاقه يأباه ، ولم يكن طريح متهتكاً فى شعره ، إنما ظهر من شعره مبادىء وأخلاق إسلامية أبت أن تنساق وراء لذات الوليد بن يزيد . ولعل التفسير النفسى الثالث له وجاهته فلعل طريحاً وأقرانه كانوا يبكون فى شعرهم مجداً ضائعاً ، ومكانة ولّت ، وحياة حيل بينهم وبين التمتع بها واتخذوا من الشيب والبكاء على الشباب متنفساً . وكل هذه التفاسير تعاليل ظنية حظ الواقع والحقيقة منها قليل .

رابعاً : الرثـــاء :

نعجب كثيراً حين نتصفح شعر طريح فلا نجد فيه إلا ثلاث مقطوعات فى الرثاء كان نصيب ابنه الصلت منها مقطوعتين والثالثة ولعلها الأولى فى رثاء إنسان عزيز ، ولعله الوليد بن يزيد فلم نعثر على مرثية له وقد قتل بعد سنة واحدة من توليه إمرة المؤمنين ، وطريح كان مقيماً بالشام فى هذه الفترة قبل أن ينتقل إلى بغداد . والأعجب أن يبقى بعض شعره فى مدح الوليد بن يزيد وتنبهم علينا بعض مقطعاته بعض مقطعاته فى الرثاء عامة ورثاء الوليد خاصة .

---

(١) الشعراء من مخضرمى الدولتين ص ٤١٣ - ٤١٥ .

والمقطوعة الأولى من بيتين يتحدث فيهما عن خيال ابنه الذى قطع إليه السراة مع السحاب ليلاً ، رأى فيه بياض وجهه تحت ظلام الليل كالسراج يقول :

باتَ الخيالُ من الصُّلَيْتِ مُؤَرِّقِي … يَفْرِى السَّرَاةَ مع الرَّبَابِ المُلْتَقِ
ما رَاعَنِى إلّا بَيَاضُ وُجَيْهِــــه … تحت الدُّجُنَّـةِ كالسِّرَاجِ المُشْـرِقِ[٢٥]

ولا أدرى أهذان البيتان مطلع قصيدة فى الرثاء أم أنه حن إلى ولده الذى تركه فى الطائف ورحل عنه ؟ وعلى أية حال فالبيتان يتميزان بعاطفة رقيقة فيها شفافية الأحزان . ومن هنا كانت أقرب إلى الرثاء منها إلى الحنين .

أما القطعة الثانية فلعله قالها وهو فى بغداد أو فى الشام بعد أن طالت غيبته عن ابنه ، أو كان يرثيه بها . إن أبا الفرج الأصفهانى يقول : « ويكنى طريح أبا الصلت كنى بذلك لابن كان له اسمه الصلت ، وله يقول ... » أضيف إلى ذلك أن مضمون الأبيات يمكن أن نفهم منه معنى الرثاء ، يقول إن الإنسان دائماً رهن للمنية ، فكما سلفت لكل الناس ، فإن آخرها يتبع باقيها ولا يفلت منها أحد ، فالفراق لابد بإحدى وسيلتين إما رحل تفرق الأحباب أو موت يشتت الأهل ، ولابد للإنسان أن يستجيب .

يا صَلْتُ إنّ أباكَ رَهْنُ مَنِيَّـــةٍ … مَكْتُوبَـةٍ لابُدَّ أَنْ يَلْقَاهـــا
سَلَفَتْ سوالِفُها بأنفسِ من مَضَـى … وكذاك يَتْبَعُ باقِيـاً أُخْرَاهَـا
والدَّهْرُ يُوشِـكُ أَنْ يُفَرِّقَ رَيْبُـه … بالموت أو رِحَلٍ تُشِتُّ نَوَاهـا
لابد بينكمــا تَسْمَعُ دَعْـوَةً … أو تَسْتَجِيبُ لدَعْوَةٍ تُدْعَاهــا[٢٦]

أما رثاؤه المذهبى الذى يبين منه اتجاهه السياسى أو الحزب الذى ينتمى إليه فلم نعثر له على بيت واحد فيما وصل إلينا من شعره . ولكن هذا الاتجاه القديم الذى وجدناه فى شعر طريح فيه أثر الجديد كذلك ، وليس الجديد من قبل الألفاظ فألفاظ الرثاء كانت دائمة رقيقة ، إنما الجديد من قبل المعانى التى نقرأ فيها أثراً إسلامياً من فرضية الموت وأن الإنسان يؤمن بهذه النهاية فلا يستأخر ولا يستقدم من عمره شيئاً .

ولقد رثى طريح شبابه يقول :

ذَهَب الشَّبابُ وصِرْتُ كالخَلَقِ الَّذى ... إلا تُعَاجِلُه المَنِيَّةُ يَهْمَـــــــــدِ[١٢]

أو يقول :

والشَّيْبُ غَايَةُ مَن تَأَخَّرَ حَيْنُـــــه ... لا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَه مَن يَجْــزَعُ
فَدَعِ البُكَاءَ على الشَّبَابِ وقُلْ لـه ... ما قالَ عندَ مُصِيبَــةٍ مُسْتَرْجِـــعُ[٢٢]

وفى مقطوعته الثالثة يألم كثيراً حين أودى الموت بهذا البحر الذى عم خيره الناس جميعاً وضم رفاته ذرع واحد ، فإن كان قد مات فإن عطاياه لم تمت وفضحت الأنواءَ جوداً وكرماً (ق «١») .

ثم تراه يرثى قوماً كانوا ضحايا يوم المشلل ويبكى على ما حل بهم وكأنهم ذبيحة أسود تقدم إلى كلاب

فلله عينا من رأى قط حادثـــاً ... كفرس الكلاب الأسد يوم المشـــلل[٣٩]

والواقع أن شعر الرثاء عند طريح قدم فيه الدليل على التجديد الجزئى المحدود فإذا أضفنا أن مقطوعاته مستقلة بأغراضها ابتعد فيه عن الأسلوب البدوى الخشن ، وتحول فيه إلى ذاته يشعرنا بألم فقد ابنه أو شبابه تبين لنا أثر هذا التجديد الجزئى فى غرض الرثاء فى القرن الثانى الهجرى .

خامساً : الغـــــزل :

لم نر فيما كتبه طريح من شعر الغزل هذا الجانب الحسى من الغزل الذى شهر فى بوادى الحجاز ونجد والشام والذى أظهر فيه أصحابه مفاتن المرأة وتتبعوه بالتدقيق كذلك لم يخضع غزله لتأثير الغناء الذى امتلأ به قصر الوليد بن يزيد وشاع فى الحجاز منذ القرن الأول ، ولم تتأثر أوزان الغزل عنده بمؤثرات الغرض كما رقت فى وقته وحوله واختار شعراء الغزل لغة مألوفة رقيقة الألفاظ مع وزن رشيق يصلح للغناء . وهذا أمر نعجب له كثيراً ، والذى رصدناه من شعر يحكم على ما فقدناه منه من حيث الوقوف بشعر الغزل عند أمرين : الأول : أنه جرى فى مذهب الغزل على ما جرى عليه الشعراء الجاهليون فى

(١) الأغانى ٤ / ٣٠٨ .

اتجاههم فى تناول هذا الغرض حين كانوا يهيئون له المقدمة الطللية بهذه الألفاظ القوية الجارفة التى تحكى قصة من قصص البطولة ، يصفون فيها محبوباتهم وجمالهن ، والأمر الثانى : أنه تحلل من ربقة القدماء وجرى على الاتجاه الجديد الذى سار على دربه شعراء القرن الثانى . فهل نفهم من ذلك أن الظروف والبواعث التى أدت إلى الأمر الأول تختلف عن الثانى ؟ وهل نفهم من ذلك أيضاً أن نسيج الأخيلة وطبيعة تكوينها ومصادر مفرداتها يختلف مع شاعر واحد ، إذا اختلفت هذه الظروف والبواعث ؟

الملاحظة الجديرة بالاهتمام أن غزل طريح من هذا النوع المعنوى العفيف يتمسك فيه بأهداب الأخلاق مرتفعاً به عن شذوذ العصر ، باعثاً فيه نبضاً جديداً ، ورقة نعهدها على شعراء بنى عذرة . ومهما يكن من تساؤلات فلقد استطاع طريح أن يتخلص من قبضة الوليد فى توجيه الغزل وجهة أخرى ، كما استطاع أن يفلت من قبضة المجون التى اجتاحت العصر ، ويقف مع غيره من الشعراء متفرداً متميزاً بفن جديد على مجون العصر وذوق إمائه وشعرائه ، والتفسير الصحيح الذى نحب أن نؤكد به ما رأيناه (أن هؤلاء الشعراء كانوا يعبرون عن أحاسيسهم ومشاعر قلوبهم فى صدق ولا يتكلفون لذلك ، ولا يبغون من وراء شعرهم نفعاً مادياً اللهم إلا التنفيس عن حبهم وعواطفهم الجياشة)[1]. ويظل التساؤل الذى طرحناه قائماً . أيمكن أن نقول إنه كان يتتبع الجاهليين فى ظروف وبواعث تختلف عنها حين أراد أن يجدد فى موضوع الغزل ؟ إن أثراً ما لشعراء العصر الأموى كان له بصمات ولا شك على شعره ، شاعر قادم من الطائف فى نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثانى إلى الشام أتراه تختلف ظروفه وبواعثه فى شعر الطائف عنه فى أرض الحجاز ، جاء برقة عواطفه ، وجمال ألفاظه ، وعفة غزله ، وهو ما أملى عليه شعره القديم ، يصف فتاته باستواء الجسم ودقة الخصر وجمال التناسق فلا تسمع للحلى وسواساً إذا هى تنقلت ، واستيقظت قلائدها على جيد كالغزال .

(١) اتجاهات الشعر ص ٥٣٧ .

نامتْ خَلاخِلُها وجَالَ وِشاحُها وجَرَى الوِشَاحُ على كَثِيبٍ أَهْيَلِ
فاستيقظتْ منه قلائدُها التى عُقِدَتْ على جيدِ الغَزَالِ الأكْحَلِ[٤٠]

معنى ردده شعراء الجاهلية كثيراً فى أبياتهم ، ولكنه أعاد صياغته بما عرف عنه من رقة لفظ وجمال معنى وتناسق . وإنه ليعجبنا كثيراً استخدام الفعل (استيقظت) هنا ليدل على لمسة الفنان القادم من الطائف قبل أن يصل إليه أثر الشام واتجاه الشعر فيه . وحين نقول ذلك نردد أن معطيات القرن الثانى وما توالى عليه من حضارات وتأثيرات أجنبية باعدت بين المثال الجاهلى فى الجمال الأنثوى وبين الواقع الذى يعيشه شعراء القرن الثانى ، ومن هنا كان حكمنا عليه أنه مردد لما قاله القدماء باتجاههم فى الغزل وتقييمهم لجمال المرأة .

ولتأكيد ما رأيناه اقرأ معنا بيته فى ثوبه الخشن ومعناه الرقيق ، تجد فى قلبه هوى مضمراً ، أخفته الضلوع حتى إذا ذكر سلمى اضطربت لها أحشاؤه ، واشتعلت لهباً ، واحترق صدره لذكراها ، يقول :

به دَخِيلُ هَوًى ضَمْرٍ إذا ذُكِرَتْ سَلْمَى له جاشَ فى الأَحْشَاءِ والْتَهَبَا[٢]

هذا مذهب من مذاهب القول عنده ، ومنهج فنى سار على دربه كما قلنا وعرف به ، فقد تحدث عنه ابن عساكر فقال عن شعره : « بديع النظم »[(١)]، وقال المرزبانى : « كان شاعراً مجيداً مكيناً حسن الفصاحة »[(٢)] واختار له ياقوت أبياتاً من شعره تنم عن مذهبه[(٣)].

ويطلعنا فى شعره على قصيدة من قصائد المدح مبتورة لم يصل إلينا منها إلا المقدمة الغزلية وبضعة أبيات فى المدح . وما يهمنا هنا هذه المقدمة الغزلية التى استعاض عنها بالمقدمة الطللية ، والغزل فى مقدمة قصائد المدح ليس اتجاهاً جديداً ، إنما هو اتجاه قديم افتتح به الجاهليون معظم قصائدهم ، ولكنه لم يعالج فيه ما عالجه القدماء ، فلم يتغن فيه بقصص الحب ، وخيال المحبين ومغامرات

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٧ / ٥٦ .
(٢) نفس المصدر ٧ / ٥٦ .
(٣) معجم الأدباء ١٢ / ٢٢ .

العشاق ، إنما هو فى غزله عفيف زاهد ، نراه يستقبل الحديث مستخرجاً أنغامه من قيثارة نفسه الحزينة ، ملائماً بين موقف الرحيل وعواطفه وبين رقة الألفاظ ، فحين زمت العيس ، وشدت مطايا وأرحل دار الحوار العاطفى : تقول : أحقاً إنك منطلق عنا ، فقال : نعم ، ولابد من أن تتجلدى أمام الفراق ، ولكن الجلد فارقها وبدأ اليأس يدب فى جوانب نفسها حين همس لها الظن أن لا تلاق بعد الفراق ، فأجاب : إذا منحنى الله العمر فلن أطيل البعاد ، وكيف أطيله وقد تركت قلبى رهناً عندكم ، وحين فارقها لم يسل ذكراها يوماً ، ولم يبل حبل الوصال أبداً ، وفاضت دموعه وتتابعت على خده كما يتتابع اللؤلؤ فى نسق ، ثم يهيب بعينه أن تكف عن البكاء وإلا أودى بها ، ومهما طال البكاء فلابد له من يوم يجف فيه الدمع ، وليس ثمة شىء يبقى فى هذا الكون ، يقول :

تَقُولُ والعِيسُ قد شُدَّتْ بأَرْحُلِها ... أَحقٌّ أنَّك مِنَّا اليومَ مُنْطَلِقُ
قلتُ نعم فاكْظِمي قالتْ وما جَلَدى ... ولا أظنُّ اجتماعا حين نفترِقُ
فقلت إنْ أَحْيَ لا أُطْوِلْ بعادكم ... وكيف والقلبُ رهنٌ عندكم غَلَقُ
فاضَتْ على إثْرِهم عيناك دمعُها ... كما تتابعَ يَجْرِى اللؤلؤُ النَّسَقُ
فاستبْقِ عينَك لا يُودِى البكاءُ بها ... واكْفُفْ بَوَادِرَ دَمْعٍ منك تَسْتَبِقُ
ليس الشؤونُ وإنْ جادَتْ بباقيةٍ ... ولا الجُفونُ على هذا ولا الحَدَقُ[٢٤]

لأن المقدمة الغزلية تحمل مضموناً طالما تحدث عنه القدماء ولكنه لا يجرى على نمط القدماء فى تناول مقدماتهم الغزلية أقام لوحته على طريق الحوار وأنطق فتاته فأبانت عن خوفها من الفراق وعدم تجلدها وظنها ألا لقاء بعد الفراق ، والحديث من فتاته لفتة إلى التجديد فى المقدمة الغزلية وفى جزئية منها ، وزجر نفسه عن البكاء وأنه لا شىء خالد إلا الدموع ولا الجفون فى تصوف الزاهد لفتة أخرى إلى التجديد الجزئى . وهكذا نراه وافق سنن الجاهليين فى تتبع معانيهم وخالفهم فى طريقة صياغتها .

ويتسرب نمط المقدمة الطللية إلى شعر طريح ولكنه لم يعن فيها برسم مشاهد مفصلة ، ولم يستوقف أحداً ، ولم يعدد فيها آثار الديار والنؤى والأثافى ، ولم يقطع منابت الشيح والقيصوم إلى الممدوح ، ولم يستنطق داراً ، ولكن لم يفته

منها ما ردده الجاهليون فى مقدماتهم من الوقوف على منزل داثر أقفر من أهله ، ومنها أنه ذكر المواضع التى كانت تقيم فيها صاحبته وعطف بينها بالفاء على عادة الجاهليين ، ومر سريعاً أمام بقايا الحى من رماد ووتد ، ثم بين أن معالم الحى قد توالت عليها الرياح فغيرت معالمها وانبهمت أمامه فلم يعد يرى منها إلا مسجداً ومكان اجتماع القوم وهكذا لم يطل فى مقدمته الطللية التى تسبق الغزل فقد أسرع بالانتقال إلى المقدمة الغزلية ، يقول :

أَقْفَرَ مِمَّنْ يَحُلُّه السَّـنَدُ فالمُنْحَنَى فالعَقِيقُ فالجُمُدُ
لم يَبْقَ منها من المَعَارِف بَعْـ ـدَ الحَىِّ إلا الرَّمَادُ والوَتِدُ
وَعَرْصَةٌ نَكَّرتْ مَعَالِمَها الرِّيـ ـحُ بها مَسْجِدٌ ومُنْتَضَدُ[١٠]

وحين انتهى من تصوير الديار وما جرى عليها انتقل إلى ذكرياته وهو فى هذا يحسن التخلص فيصور لياليه بالحَزْن وعيشه الرغد وأيامه الغضة ، بعيدة الشقوة ، ناعمة ، يحسدون فيها على النعيم حين كان ينعم فيها بلقائه مع فتاته هذه الجميلة كأنها خوط بانة ، ويألم كثيراً من فراق الغد ، ويستنكر على نفسه أن يصبر على الفراق وهو لم يتعود ذلك بعد أن نعب الغراب بينهم ، ثم يحسن التخلص مرة أخرى إلى غرضه الآخر فى المدح .

لم أَنْسَ سَلْمَى وَلَا لَيَالِيَنَا بالحَزْنِ إذْ عَيْشُنا بها رَغَدُ
إذ نحن فى مَيْعَةِ الشبابِ وإذ أيامُنا تلك غَضَّةٌ جُدُدُ
فى عِيشةٍ كالفِرِنْدِ عازِبَةِ الشِّقْوَ ةِ خَضْرَاءَ غُصْنُها خَضِدُ
نُحْسَدُ فِيها على النَّعِيمِ وما يُولَعُ إلَّا بالنِّعْمَةِ الحَسَدُ
أيَّامَ سَلْمَى غَرِيرَةٌ أُنُفٌ كأنَّها خُوطُ بَانَةٍ رُؤُدُ
وَيْحِى غَدًا إنْ غَدَا علىَّ بما أَكْرَه من لَوْعَةِ الفِراقِ غَدُ
قد كنتُ أبكى من الفِراقِ وحَيْـ ـيانا جميعٌ ودَارُنا صَدَدُ
فكيف صبرى وقد تجاوب بالفُرْ قَةِ منها الغُرَابُ والصُّرَدُ
دَعْ عنك سلمى لِغَيْرِ مَقْلِيَةٍ وعُدْ مَدْحا بيوتُه شُرُدُ[١٠]

وهكذا يسير هذا الغزل التقليدى مساره الجديد ذاكراً جزئية من التجديد تنبه إليها القدماء فسجلوها له ، روى الأغانى أن المنصور أنشد هذه القصيدة فقال للربيع : أسمعت أحداً من الشعراء ذكر فى باق معالم الحى المسجد غير طريح ، وهذه القصيدة من جيد قصائد طريح[1]، وسنقف عند حدود التجديد عند الدراسة الفنية ولكننا ننبه هنا إلى الوزن فالقصيدة على بحر (المنسرح) وهو قليل الورود فى شعر القدماء وفى قصائدهم التى اهتموا فيها بالطلل أو الغزل .

سادساً : الهجـــاء :

لم يكن طريح شاعر هجاء ، وإنما تناول هذا الغرض فى مقطوعتين ، ولا ندرى من يهجوه فيهما يقدم فيها هجاء لطيفاً يقوم على التشكيك بين المتناقضات ، ويبدو فى إحداهما متحيراً من صاحبه الذى انصرف من عنده فلم يجد كرماً فيثنى عليه به ، ولن يجد أحداً يصدق هذا القول ، ومع ذلك فليس بالشاعر عجلة أن يذمه لأنه صديق ، يقول :

بأىِّ الخُلَّتَيْنِ عليـك أُثْـــنى ... فإنِّى عند مُنْصَـرَفى مَسُـــولُ
أبا لحُسْـــنَى وليس لهـا ضيـاءٌ ... فمن ذا يُصَدِّقُ ما أَقُـــول
أم الأخـرى ولسـتُ على صديقى ... بذى عَجَـلٍ إذا لاحى عَجُـول[٣٤]

ويبدو فى الأخرى متحيراً كذلك من صاحبه أيتهمه بالبخل حين يسأل الناس عنه أم هو كريم ؟ وبلغ من تحيره أن طريق الكرم أو البخل فيه لم يظهر له ، يقول :

فوالله ما أَدْرى إذا جَـاءَ سَائِلٌ ... يُسَائِلُ عن جَدْوَاك كيف أَقُـول
ووالله مـا أَدْرى وإنِّى لَنَـاظِرٌ ... أَلِلْجُـودِ أم للبُخْـل أنت مُخِيــل
وأنت امروءٌ لم تَسْـتَبِنْ لى طريقُـه ... وللسَّيْلِ حتى يَسْتَقِرَّ مَسِيـل[٣٢]

ويبدو أن الرواة رووا هذه الأبيات لشاعر آخر يدعى جوشن بن عميرة العذرى مع أن اتجاه النصين يكاد يكون واحداً ، وأن الدماء الجارية فى عروق

(١) ٤ ٣٢٣

الأبيات تكاد تكون واحدة ، إلا أنها تنبىء فى النهاية - كما سبق أن قلنا - بأن طريحاً لم يكن شاعر هجاء ، وأن أسلوب الهجاء فى اللفظ والمعنى يجرى على نطاق التجديد الذى سبق أن أشرنا إليه .

سابعاً : الاعتـــذار :

يعد الاعتذار غرضاً قديماً من أغراض الشعر الجاهلى وقع فى شعرهم ، وشهر به النابغة الذبيانى حين توالت اعتذارياته للنعمان بن المنذر . ونتفق فى أن هذا الغرض كما ذكر أستاذنا الدكتور هدارة أحيا به طريح اعتذاريات النابغة الذبيانى(1)، وقد وصل إلينا من شعر الاعتذار عند طريح قصيدتين بلغت إحداهما تسعة وثلاثين بيتاً ، وبلغت الثانية اثنين وعشرين بيتاً ومقطوعة من أربعة أبيات .

وإذاً فما المعانى التى عالجها طريح فى اعتذارياته حتى جعلنا نؤكد تأثره بالنابغة أو إعادته لنفس الغرض القديم ؟ فلم يكن اسم الاعتذار وحده بكاف ليؤدى إلى طرح غرض من أغراض الشعر ما لم يكن هناك جانب من جوانب التأثير ، وما الجديد الذى عالجه فى معانيه مما جعلنا نقول إنه أعاد غرضاً إلى الوجود ؟ وهل الاعتذار عند طريح له جانب سياسى ؟ أكان الاعتذار خوفاً من صولة الوليد عليه ؟ أم خوفاً على مكانته الأدبية والاجتماعية ؟ أم حباً فى الوليد بوصفه شاعره الرسمى المتحدث باسمه ، الناطق بلسان حزبه ؟ أم لأنه زعيم من زعماء الأحزاب الموالية للأمويين المدافعين عنهم ؟ أم كان ما يربط من وشائج النسب وما أصابه الثقفيون على يديه وفى خلافته من نباهة الذكر سبباً فى هذا الاعتذار ؟

فى الحقيقة لابد من البحث عن سبب دخول هذا الفن القديم إلى شعر طريح أصلاً قبل أن نحاول الإجابة عن هذه التساؤلات الكثيرة .

(1) اتجاهات الشعر ص ١٨٠ .

أما قصيدته البائية ، فإن ابن قتيبة يبهم سببها علينا فيقول : « وعتب عليه الوليد فى شيء فجفاه »(١) وينقل أبو الفرج الأصفهانى رواية عن طريح بن إسماعيل الثقفى نفسه مؤداها أنه خص بالوليد بن يزيد وكان يخلو معه ، وقد دار حوار بينهما فى جلسة من جلساته مع ندمانه ، نفهم منها أن طريحاً لم يشرب شراباً قط ممزوجاً إلا من لبن أو عسل ، ودخل ذات يوم وعنده الأمويون ، فرحب به الوليد ، ثم أحضر الشراب ، ولكن طريحاً امتنع وذكره ما كان بينهما من حوار حول الشراب ، فتكدر المجلس ، وغضب الوليد ، ورفع القوم أيديهم كأن صاعقة نزلت على الخوان ، وحين خلا البيت افترى عليه ، وكاد أن يضربه ألف سوط لولا هذه القرابة - فقد كان طريح خاله كما سبق أن عرفنا - ثم نهى الحاجب عن إدخاله ، وقطع عنه أرزاقه ، ثم دخل عليه متنكراً يقول هذه البائية(٢).

والعجيب من الأمر أن قصيدة طريح - كما سنعرض لها - لم تذكر هذا السبب مطلقاً ، فهل سقطت أبيات ذكر فيها هذا السبب ؟ الإجابة بالنفى المطلق ، فما كان طريح ليفضح خليفته فى سبب غضبه وعتبه عليه ، حتى إذا وقفنا على مكان آخر من الأغانى أدركنا بعض السبب ، فقد قص علينا رواية عن طريق المدائنى ، يقول فيها : كان الوليد بن يزيد يكرم طريحاً ، وكانت له منه منزلة قريبة ومكانة ، وكان يدنى مجلسه ، وجعله أول داخل وآخر خارج ، ولم يكن يصدر إلا عن رأيه ، فاستفرغ مديحه كله وعامة شعره فيه ، فحسده ناس من أهل بيت الوليد ، وبينوا له أن طريحاً مل مجلسه ، ومدح هشام بن عبد الملك ، فتحيل إلى أن لقى ولى العهد ، وألقى بين يديه قصيدته العينية(٣).

ويؤكد ابن شاكر الكتبى هذا الرأى الأخير فيقول : « وكان جماعة من

---

(٢) الشعر والشعراء ٢ / ٤٢٧ .

(٢) الأغانى ٤ / ٣١٠ .

(٣) الأغانى ٤ /٣١٤

بيت الوليد قد حسدوا طريحاً ، واحتالوا على الوليد إلى أن أغضبوه عليه ، فبقى نحو السنة لم يأذن له »[1].

يحدثنا الشاعر أن تهمة ما ألصقت به فدفعته إلى السهاد والتفكير فى الطريقة التى ينفذ منها إلى البراءة ويبدو أن الذين وشوا به عند الوليد سدوا عليه كل منافذ الفكر ، فجزع الرجل ولم يكن يعرف من قبل الجزع ، يقول :

نامَ الخَلِيُّ مِن الهُمُـوم وبـاتَ لى　　لَيْـلٌ أُكَابِدُه وهَـمٌّ مُضْـلِعُ
وسَـهِرْتُ لا أَسْرِى ولا فى لَـذَّةٍ　　أَرَقى ، وأَغْفَـلُ ما لَقِيتُ الهُجَّـع
أبغِى وُجُوهَ مَخَـارِجى من تُهْمَـةٍ　　أَزَمَتْ علىّ وسُدَّ منها المَطْلَـع
جَزَعاً لمَعْتَبَة الوَليـدِ ولم أكُـنْ　　من قبلِ ذاك من الحوادث أَجْزَع[2]

ويبدو أن رأى الأصفهانى وابن شاكر الكتبى هو أقرب الآراء صحة ، فقد حسده قوم على شرفه ومكانته من الوليد وأنه أول داخل ، وآخر خارج ، وهو يشير إلى ذلك إشارة صريحة ، فيقول :

وكنتُ دون رجـالٍ قد جعلتهُـم　　دونى ، إذا ما رَأَوْنى ، مُقْبِلاً قَطَبـوا
إنْ يَسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوه ، وإن سَمِعُوا　　شرًّا أذاعوا ، وإن لم يَسْمَعُوا كَذَبوا
فَذُو الشَّمَاتَةِ مَسْرُور بِهَيْضَتِنَـا　　وذو النَّصيحةِ والإشْفَاقِ مُكْتَئِـب
لكن أتـاك بقولٍ كاذبٍ أَثِـمٍ　　قومٌ بَغَوْنى فنالُوا فىَّ ما طَلَبُـوا[4]

وبعد أن يدفع عن نفسه التهمة يبين للوليد مدى إخلاصه وحبه له وحوكه الشعر يختار له ألفاظه ، ويصفى له جمله ، وينظمه نظم القلائد إن شعاره فى كل ذلك إخلاص للوليد لشخص الوليد ، وهذا أمر يعود إلى سبب ذكره فى أبياته ، فلقد أعطاه عهده وذمته ومكانته ورفع منه فوق كل الذين يحيطون به :

ما كان يَشْقَى بهذا مِنـكَ مُرْتَغِبٌ　　خالٌ ولا الجارُ ذو القُرْبَى ولا الجُنُب
أين الذِّمَامةُ والحَقُّ الذى نزلـتْ　　بحفظِـه وبتعظيمٍ له الكُتُـب
وحَوْكِىَ الشِّـعْرَ أُصْفِيـه وأنْظِمُـه　　نَظْمَ القلائدِ فيهـا الدُّرُّ والذَّهَـب

(٢) عيون التواريخ جـ ٥ ورقة ٩٧ (مخطوط) .

وهَزّىَ العِيسَ من أرضٍ يمانيـــةٍ	إليك خُوصاً بها التَّعْيينُ والنَّقَـــب
يَقُودُنى الودُّ والإخـلاصُ مُخْتَرِمـى	من أبْعدِ الأرضِ حتى منزلى كَثَب
وكنتُ جاراً وضيفاً منك فى خَفَرٍ	قد أبصرتْ منزلى فى ظِلِّكَ العَـرَب
فقد تقربتُ جهداً فى رضـاك بمـا	كانت تُنَـالُ به من مِثْلِكَ القُـرَب
فلا أَرانى بإخلاصـى وتَنْقِيَـتى	لك الثنـاءَ وقُرْبى منك أقْـتَرِب[٤٠]

إن طريحاً يمزج الاعتذار بالعتاب ويوضح أن بعضهم أرادوا منه شعره أو أرادوه أن يناضل عنهم ويدافع عن مسلكهم السياسى فى شعره ويبدو أنه رفض هذا المبدأ لإخلاصه لولى نعمته وأميره الوليد بن يزيد ، أتراه يقصد إلى هذا المعنى حين يقول :

قد كنتُ أحسَبُ أنّى قد لجأتُ إلى	حِرْزٍ وألّا يَضُرُّونى وإنْ ألَبُـــوا
إنْ الذى صُنْتُها عن مَعْشَرٍ طَلَبـوا	منّى إلىّ الذى لم يُنْجِـح الطَّلَـب
أخلصتُها لك إخـلاصَ امرىءٍ عَلِم	الأقْوَامُ أنْ ليس إلا فيك يُرْتَغَـــب
أصبحتَ تدفَعُهـا منّى وأُعْطِفُهـا	عليك وهى لمن يُحْبَى بها رَغَــبُ[٤]

وهو يوضح مكانته عند الوليد ويعتب عليه ما هدمه من مكانته ، ثم يذكره بشماتة أعدائه من الذين يناصرون هشام بن عبد الملك إن هو أقصى شاعره والمحامى عنه ،

أدَفعتَنى حتى انقطعتُ وسُدِّدتْ	عنّى الوجُـوهُ ، ولم يكنْ لى مَدْفَـع
ورُجيتُ واتُّقِيَتْ يَدَاى وقِيـلَ قـد	أمْسَى يَضُرُّ إذا أَحَـبَّ ويَنْفَــع
ودخلتُ فى حَرَم الذِّمـامِ وحاطَنى	خَفَرٌ أخذت به ، وعهدٌ مُولَـع
أفَهَـادِمٌ ما قد بَنَيْتَ وخافِـضٌ	شَرَفى ، وأنت لِغَيْرِ ذلك أوســع
أفَـلا خَشِيتَ شَمَـاتَ قـوم فُتَّهـم	سَبْقا ، وأنفسُهم عليك تَقَطَّــع
وفضلتَ فى الحَسَبِ الأشَمِّ عليهم	وصنعت فى الأقوامِ ما لم يَصْنَعُـوا
فكأنَّ آنُفَهُـمْ بكل صنيعـةٍ	أسـديتَها وجميـل فِعْـلٍ تُجْدَع
وَدُّوا لو انَّهُـمُ ينـالُ أكفَّهــم	شَلَلٌ وأنّـك عن صَنِيعـك تَنْـزِع
أو تَسْتَلِيمُ فيجعلونـك أُسْـوَةً	وأبَى المـلامَ لك النَّـدَى والمَوْضِـع[٢٠]

وهكذا ألمح طريح بأن الاعتذار كان له جانب سياسى يمس سياسته مع الوليد بن يزيد ، ويمس تأييده فى شعره لسياسته ، ويخيل إلينا أن إهمال المؤرخين لطريح بعد مقتل الوليد كان من بين سياسة هشام بن عبد الملك فى إقصاء كل من يجاور الوليد أو يناصره ، وأكبر الظن أنه السبب كذلك فى عبث الرواة بشعره الباقى والذى لم يصل إلينا عن تلك الفترة التى قضاها فى الشام فى الربع الأول من القرن الثانى للهجرة أو بعد ذلك . ولقد كان خوف طريح على مكانته الأدبية والاجتماعية هى التى حدت به إلى هذه الموجة من الاعتذاريات ، ولكن شيئاً ما ينبغى أن يقال هنا ، وهو أن طريحاً لم يذل فى اعتذارياته ، اقرأ هذه الأبيات من نفس القصيدة البائية تجده يذكره بنفسه وبمكانته من ثقيف ، وأنه لم يهن حين رفضه وإن كان يود إبقاء المودة :

فإنْ وصلتَ فأهلُ العُرْفِ أنت ، وإنْ ... تَدْفَعْ يَدَىَّ فلى بُقْيَا ومُنْقَلَبُ
إنى كريمُ كِرَامٍ عِشْتُ فى أَدَبٍ ... نَفَى العُيُوبَ ومَلْكُ الشِّيمَةِ الأَدَب
قد يعلمونَ بأنَّ العُسْرَ مُنْقَطِعُ ... يوما وأنَّ الغِنَى لابدّ مُنْقَلِب
فَمَالُهُمْ حُبُسٌ فى الحَقِّ مُرْتَهَنٌ ... مثلُ الغنائمِ تُحْوَى ثم تُنْتَهَب
وما على جارِهم ألا يكونَ له ... إذا تكنَّفَهُ أبياتُهم نَشَب
لا يفرحون إذا ما الدَّهْرُ طاوعهم ... يوما بِيُسْرٍ ولا يَشْكُون إنْ نُكِبوا
قومٌ لهم إرْثُ مَجْدٍ غَيْرُ مُؤْتَشَبٍ ... تَنْقَادُ طَوْعاً إليه العُجْمُ والعَرَب
فارقتُ قَوْمِى فلم اعتَضْ بهم عِوَضا ... والدَّهْرُ يُحْدِثُ أَحْدَاثاً لها نُوَب[٤]

ولا نستطيع أن نردد أن طريحاً احتذى معانى النابغة ، فالاحتذاء ليس وارداً فى شعر طريح إنما هى معان متقاربة يمكن أن تؤدى إلى معنى الترديد أو التأثير ، ولنقرأ للنابغة أبياته :

أتانى أَبَيْتَ اللَّعْنَ أنَّك لُمْتَنِى ... وتِلْكَ الَّتِى أَهْتَمُّ منها وأَنْصَبُ
فَبِتُّ كأنَّ العائِدات فَرَشْنَنِى ... هَراساً به يُعْلَى فِراشى ويُقْشَبُ
فَلَا تَتْرُكَنِّى بالوَعِيدِ كأنَّنِى ... إلى النَّاسِ مَطْلِىٌّ به القارُ أَجْرَبُ[١]

(١) ديوان النابغة ص ٧٣ .

ونحن إذا قرأنا أبيات طريح فى مثل هذه المعانى أو ما يقاربها عرفنا كيف يعالج طريح معانى الاعتذار بأسلوب يسير ، فيه التجديد فى تناول الفكرة ، وفيه الحفاظ على رصانة التعبير :

فلأنزِعَنَّ عن الذى لم تَهْـوَهُ ... إنْ كـان لى ورأيت ذلك مَنْـزِع
فاعطِفْ فِدَاك أبى علىَّ تَوَسُّعاً ... وفَضِيلَـةً فَعَلى الفَضِيـلة تُتْبَـع
فلقـد كفـاكَ وزادَ ما قد نالـنى ... إن كنتَ لى ببلاء ضُرٍّ تَقْنَـع
سِمَةٌ لـذاك علىَّ جِسْـمٌ شاحِـبٌ ... بادٍ تَحَسُّـرُه ، ولَوْنٌ أسْـفَع
إنْ كنتَ فى ذنبٍ عَتَبْتَ فإنَّـنى ... عمَّـا كَرِهْتَ لَنَـازِعٌ مُتَضَـرِّع[٢٠]

أو يقول النابغة :

أتاكَ امْرُؤٌ مُسْتَبْطِنٌ لىَ بِغْضَـةً ... له مِن عَدُوٍّ مثلَ ذلك شـافِعُ
أتـاكَ بقولٍ هَلْهَلِ النَّسْـجِ كاذِبٍ ... ولم يَأْتِ بالحَقِّ الذى هو ناصِـعُ
أتـاكَ بقولٍ لم أكُنْ لأقُـولَهُ ... ولو كُبِلَـتْ فى ساعدىَّ الجَوَامِـعُ[١]

فتسمع طريحاً يقول :

لكن أتاك بِقَولٍ كـاذبٍ أثِـم ... قومٌ بَغَوْنى فنالـوا فىَّ ما طَلَبُـوا[٤]

والحق أننا يمكن أن نعد ما قاله النابغة وطريح معانى عامة يقع عليها أى شاعر وقف وسط قوم وشوا به عند ولى نعمته فكان موضوع اعتذاره هذه المعانى . ولقد بدا لنا أن طريقة التناول للمعانى والألفاظ قد اختلفت لا باختلاف المناسبة وإنما باختلاف العصر والدعوة فيه إلى التجديد فى المعانى والألفاظ .

(١) ديوان النابغة ص ٣٥ .

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

حين شرع القدماء يشرحون نهج القصيدة العربية لم يكونوا يقصدون من ورائه إلا أن يكون البيت وحدة القصيدة ، وأن الشاعر الجيد هو الذى يحسن الانتقال من غرض إلى غرض ، وأنه فى كل مرة يتوقف ليوضح جزئيات أمام حسه وأثرها فى نفسه ، حتى إذا كاد أن يفرغ من ذلك كله انتقل إلى المديح . فالشاعر يفتتح قصيدة المديح بالوقوف على الديار الداثرة التى كان أسلافهم الجاهليون يقفون عندها ، ويعدد فيها آثار الديار فيذكر النؤى والأثافى والأوتاد وبعر الآرام والرماد ويحصى معالمها ، ويخاطب الربع ويستوقف الرفيق وما اعتور دياره من رياح وعواصف وأمطار ، سنوات ذوات عدد ، حتى تغيرت معالمها ، وخط فيها الزمن خطوطه ، وحتى تنكرت الدار لأهلها فأصبحت مرتعاً للوحوش بعد أن كانت مسرحاً للأنيس ، ويتبع بخياله الماضى البعيد فيذكر أهلها الظاعنين عنها ، فيشكو بهم الوجد وألم الفراق ، ويخطر على قلبه من ذكرى أحبته ما يخطر ، ويسترجع ذكرياته مع صاحبته أيام كان يلهو فى منزل الهوى ، ويشعب فى معانى الغزل ، ويغرق فى لقاء الوصال ، لا يكدر علاقته ألم ، ولا يسوّف بحبه وعد أو مطل ، أو لعله يسوّف ، ويرتفع إلى مستوى من السعادة تغمر حياته ، حتى إذا انتهى من ذلك كله وقد أنضى الراحلة ، وسرى الليل ، وذاق حر الهجير ، بدأ فى المديح ووجب على ممدوحه أن يستمع إليه .

وهذا النهج القديم للقصيدة العربية كان يعجب الرواة والعلماء كثيراً ، وهو نهج أصيل يمثل قوة تيار الشعر القديم والتى كان لها مظهران فى ذلك العصر : الأول : خضوع الشعراء المجددين وهم الأكثرية لهذا التيار فى بعض أشعارهم وبخاصة شعر المديح لإرضاء الممدوح أولاً ، وإرضاء العلماء والرواة

ثانياً : ولإثبات تمثلهم القوى للثقافة العربية القديمة ، وقدرتهم على مجاراة النهج القديم فى بعض الأحيان[1].

وخلال فترة مسيرة هذا النهج القديم مرت قصيدة المديح بمجموعة من التغيرات ، نقلت عناية الشعراء (برسم المشاهد المفصلة لها ، تلك التى كان أسلافهم فى الجاهلية يعددون فيها آثار الديار)[2].

فكان بعضهم يردد مقلداً هذه المقدمة الطللية ، وبعضهم يستبدل وصف المحبوبة بوصف ظعائنها ، وشاع فى قصائدهم المقدمات الغزلية ، يذكرون فيها زيارة طيف محبوباتهم على بعد الدار وتنائى المزار ، ولا يفهم من ذلك أن كل الشعراء تحللوا من المقدمة الطللية ، إنما كانوا يذكرونها فى مقدمة قصائد المديح فى القرن الثانى الهجرى للدلالة على تمسكهم بالقديم من ناحية ، وحتى يعطلوا لشعرهم سيرورة عند العلماء والرواة فى قصور الخلفاء .

ومن المؤكد أن التجديد فى مقدمة القصيدة لم يحدث دفعة واحدة ، وإنما كان دائماً يتبع تطور الذوق فى المجتمع العربى واتساع مفهوم الثقافة ، ودخول عناصر أجنبية أو فكر أجنبى تغير لها هذا المفهوم القديم ، وتحلل الشعراء من النهج القديم للقصيدة العربية .

وإذا كنا ندرك أن بعض الشعراء خضعوا لهذا التأثير الثقافى فخلت قصائدهم من المقدمة الطللية ، فإننا لا ننسى أن هناك شعراء ساروا على الدرب القديم معلنين عصيانهم عن تقبل دواعى التجديد . فهل كان طريح بن إسماعيل الثقفى القادم من الطائف على الوليد بن يزيد فى دمشق من هؤلاء الذين ساروا على درب التقليد ، وتمسكوا بنهج القصيدة العربية ؟

فى الحقيقة واجه طريح حين وفادته من الطائف مجموعة من المتغيرات الثقافية استطاعت أن تؤثر على هؤلاء الشعراء الذين التفوا بالوليد بن يزيد ، والوليد

(١) اتجاهات الشعر ص ١٧٤ .
(٢) مقدمة القصيدة ص ٣٥ .

وشعراؤه ليسوا بدعاً إنما كانوا يواكبون وقتاً كانت دواعى التجديد فيه تحثهم على المضى دون التفات إلى الماضى . ولابد لنا من الوقوف أمام دواعى التجديد ، وحظ طريح منها .

هل التجديد الذى واجه طريحاً هو أن الشعراء ومنهم الوليد بن يزيد كانوا يضعون معانى القدماء فى قالب جديد أو فى صورة شعرية جديدة ؟ فى الحقيقة كان التجديد أوسع من ذلك ، وكان الوليد صدى لحركة تجديد شاملة ، لم يكن هو محورها ، بقدر ما كان أداة فعالة فى تنفيذها ، ولقد أعطاه الباحثون نوعاً من الدعاية فوق ما يستحق ، إنما كان الوليد وغيره يتبعون مجتمعاً بأكمله . ويتطورون بتطوره (ولقد أغرى الشعراء بهجر الصياغة القديمة والأسلوب الجزل الرصين ، وبذلك سار خطوة أخرى بعد التجديد الأسلوبى الذى ظهر فى شعر الغزل فى الحجاز ، والذى كان يجنح إلى البساطة والسهولة والرقة بتأثير الغناء والموسيقى وترف الحياة الاجتماعية وتطورها على وجه العموم . ولعل تجديد الوليد فى اختيار الأوزان الرشيقة القصيرة ، واقتصاره على المقطعات دون القصائد التقليدية المطولة كان أبرز وأقوى مما ظهر فى غزل الحجاز أيضاً فى القرن الأول)[1] .

هذه بعض ميزات الاتجاه الجديد التحررى من الصياغة القديمة ومن الوزن ، ومن طول القصائد بمعنى أن الشعراء أرادوا أن ينقلوا الشعر من البيئات الأرستقراطية العلمية ومجالس الخلفاء والرواة إلى البيئات العامة ، ولذلك فقد الشعر كثيراً من جزالته ، ولم يعد البيت الشعرى وحدة القصيدة ، لأن القصيدة لم تعد بهذا الطول بل تحولت إلى نوع من المقطعات القصيرة فى غرض واحد .

وإذا كان الوليد بن يزيد قد دعا إلى حرية التعبير عن أهواء النفس وفتح الباب من جديد على الخمريات ، فإن ما وصل إلينا من شعر طريح لا ينبىء بهذا التأثر ، وما بقى من شعره الذى يدعو فيه إلى التزام الأخلاق ينبىء

(١) اتجاهات الشعر ١٥٤ .

كذلك عن أن ما ضاع من شعره لا يمثل هذا الجانب ، وأن تأثير الوليد في هذا الجانب عند طريح معدوم في شعره ، وأكبر دليل على ذلك ما رواه الأغاني مسنداً الخبر إلى طريح نفسه(١).

نستطيع أن نستنتج من ذلك أمراً وهو أن المحيط الذي عاش فيه الوليد ومن التف به من شعراء سواء من الكوفة أم من غيرها لم يستطع أن يؤثر في طريح تأثيراً ما . فهل نفهم من ذلك أن طريحاً لم يستجب للدواعي التجديد ، أم أنه من بين الشعراء الملتزمين لنهج القصيدة العربية ولم ينسق وراء التجديد ؟؟

في الحقيقة سبق أن أشرنا إلى إجابة هذا التساؤل من قبل ، وقلنا عند ذلك إن طريحاً استجاب لدواعي التجديد في شعره ، ولكن إلى أي مدى ؟ وكيف يستجيب لدواعي التجديد وهو من الشعراء الملتزمين نهج القصيدة العربية ؟؟ قبل أن نجيب على هذا التساؤل نقف وقفة متأنية أمام قصيدة المدح الوحيدة التي وصلت إلينا ، والتي التزم فيها طريح نهج القصيدة العربية ، يقول في مطلعها وفي مقدمتها الطللية :

أقفر ممن يحله السند فالمنحنى فالعقيق فالجمد
لم يبق فيها من المعارف بعد الحي إلا الرماد والوتد
وعرصة نكرت معالمها الريح بها مستجد ومقتصد[٥٠]

فأنت تراه يحافظ في مطلعها على المقدمة الطللية فقد أقفرت ديار من يحب من أهلها ، وهو في ذكره للديار وتحديد مكانها والعطف عليها بالفاء ، وتتبع هذه الأماكن ، تراه فيها جاهلياً ملتزماً .. أقفرت الديار من أهلها فلم يجد من معالمها إلا الرماد والأوتاد وهذه الساحة التي توالت عليها الرياح فعفتها وغيرتها ولا زال المسجد ومجلس القوم موجوداً ظاهراً لا خفاء فيه ، وأنت تراه كذلك يلم إلماماً سريعاً بما كان يسعى الجاهليون في التكثير منه والإفراد الأبيات للتوضيح

---

(١) الأغاني ٤٤ / ٣٦١٠ ..

جزئيات الدار وما خفي منها وما ظهر، ويطيلون الوقوف، ولكن طريحاً لم يطل الوقوف، بل عرض لما يعرضون له سريعاً..

أنشد المنصور هذه القصيدة، فقال للربيع: أسمعت أحداً من الشعراء ذكر في بكاء معالم الحي المستجد غير طريح(٩).. وكأنه يشير إلى هذا التجديد الجزئي ظاناً أن طريحاً تفرد به دون غيره من الشعراء، ونسي أن ذا الرمة قد جدد أيضاً في معالم الحي، يقول:

قِفِ العِيسَ في أطْلَالِ مَيَّةَ فَاسْأَلِ ... رُسُوماً كأَخْلَاقِ الرِّدَاءِ المُسَلْسَلِ
عَفَتْ غَيْرَ آرِيٍّ وأعْضَادِ مَسْجِدٍ ... وَسُفْعٍ مُنَاخَاتٍ رَوَاحِلَ مِرْجَلِ[٣٦]

وأياً ما كان الأمر فقد جدد طريح في معالم الحي تجديداً جزئياً، وإن ألم به إلمامة دون إطالة كما كان يفعل الجاهليون من قبل..

وينتقل طريح إلى الجانب الغزلي فيطيل الوقوف، ولكنه لا يفتتح قصيدته بها كما كان يفعل الفحول من الشعراء، ولا يطيل فيها بقصد التغني بقصص الحب والغرام الخيالي، وعرض لنموذج من نماذج البطولة التي لا تبعد عن الخيال، ولم يغرق فيها في نشوة اللقاء كما كان يفعل غيره، ولم يذكر عذابه وألمه، ويصف محاسن صاحبته ويفتن بها، وإنما كان أخلاقياً مسلماً، لنقرأ معي أبياته:

لم أنسَ سَلْمَى ولا لَيَالِيَنَا ... بالحَزْنِ إذْ عَيْشُنَا بها رَغَدُ
إذ نحن في مَيْعَةِ الشَّبَابِ وإذ ... أيَّامُنا تلك غَضَّةٌ جُدُدُ
في عيشةٍ كالفِرِنْدِ عازِبَةِ الشِّقْوَ ... ةِ خَضْرَاءَ غُصْنُهَا خَضِدُ
نُحْسَدُ فيها على النَّعِيمِ وما ... يُولَعُ إلَّا بالنِّعْمَةِ الحَسَدُ
أيَّامَ سَلْمَى غَرِيرَةٌ أُنُفٌ ... كأنَّها خُوطُ بَانَةٍ رُؤُدُ
ويحي غداً إن غَدَا عَلَيَّ بما ... أكْرَهُ من لَوْعَةِ الفِرَاقِ غَدُ
قد كنتُ أبكي من الفِرَاقِ وحَيْـ ... ـيَانا جميعٌ، ودارُنَا صَدَدُ

(٩) الأغاني ٤٤ // ٣٣٣٣..

(٣٦) ديوان ذي الرمة ص ١٠٥٥.

فكيف صَبْرِى وقد تَجاوَبَ بالفُرْ   قَةِ منها الغُرَابُ والصُّـــرَد
دَعْ عنك سلمى لِغَيْرِ مَقْلِيَـــةٍ   وعُـدْ مَدْحاً بيوتُـــه شُـرُد[١٠]

تجده شاعراً عذب الألفاظ ، واضح المعانى ، جميل السبك ، عربى اللغة ، دار فى نطاق القصيدة العربية ، يذكر سلمى ، ولم ينس لياليه بالحزن ، وعيشته ، وقد كانا يحسدان فيها على النعيم وهاهوذا الغد يأتى بالفراق بعد أن نعب بصاحبته الغراب ، ويحسن بعد ذلك التخلص من غزله ، بعد أن استغل الناحية الأسطورية المتصلة بالغراب تخلص من غزله إلى غرضه الأساسى وهو المديح .

وهكذا مضى طريح إلى مدحه بعد أن حقق نهج القصيدة العربية ، وجدد فيها تجديداً جزئياً فى المقدمة الطللية .

ويتصل بالمديح جزئية أخرى ليست متصلة بنهج القصيدة قدر ما هى متصلة بالمديح نفسه ، وهو غلو طريح فى معانيه جارياً على سنن شعراء القرن الثانى الذين تميزوا بغلو المعانى ، يقول طريح فى مدحه للوليد بن يزيد :

لَمَّا أَتَى النَّاسَ أَنَّ مُلْكَهُـــــمُ   إليك قد صار أمْرُه سَجَـــــدوا
واستَبْشَرُوا بالرِّضَـــا تَبَاشُرَهـــم   بالخُـلْدِ ، لو قيـلَ إنَّكـم خُلُـــد
وَعجَّ بالحَمْـدِ أهـلُ أَرْضِـك حـ   ـتَّى كاد يَهْتَزُّ مِن فَرَحَـــةٍ أُحُـــد
فَهُـمْ مُلُوكٌ ما لم يَرَوْك فـــإنْ   دَاناهُـمُ منك مَنْـزِلٌ خَمَـــدوا
تَعْرُوهُمُ رِعْدَةٌ لديـــك كمــــا   قَفْقَفَ تحت الدُّجُنَّـةِ الصَّـــرِد[١٠]

حقيقة إن شعراء القرن الثانى غالى بعضهم غلواً مسرفاً جاوز فيه حد الاعتدال ، فهل نستطيع أن نقول إن طريحاً جاراهم فى ذلك ؟ إن طريحاً جاراهم على سنن الغلو ولكنه لم يجاوز حد الاعتدال .

(٢)

لغـــة الشـــعر والأوزان

ترتبط اللغة دائماً بالعقلية الاجتماعية والثقافات السائدة ، وتدل دلالة واضحة على مدى التطور الذى حدث فى مجتمع ما ، وذلك لأن اللغة مثل الكائن الحى تتطور بتطور العقليات ، وتنهض بنهضـــة الأذواق ، وتتأثر بالعوامل الثقافية ، فتنمو ألفاظها ، وتأخذ دلالات جديدة ، أو تتوقف بعض ألفاظها عن الاستعمال فتهجر لأنها لا تناسب ذوق العصر . أو تـــرقّ لأنها تخاطب جمعاً من الناس لهم صفات معينة .

ولغة الشعر عند طريح تتجه اتجاهين :

اتجاهاً ناحية الجزالة والوحشية ، فيستخدم ألفاظاً تقتحم عليك سمعك ، وترى فيها صوراً من صور البداوة ، واتجاهاً آخر نحا فيه ناحية الرقة والسهولة . الأول يمثل به الشعر المحافظ الذى لم تتطور لغته ، والثانى يمثل به تيار التجديد الذى بدأ يخطو خطوات واسعة منذ بداية القرن الثانى الهجرى .

يقول طريح فى مدح الوليد بن يزيد :

أَنْتَ ابنُ مُسْلَنْطَحِ البِّطَـــاحِ ولـــم ... تُطْرِقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُـــجُ

طُوبَى لِفَرْعَيْـــكَ مِن هُنَـــا وهُنَـــا ... طُوبَى لِأَعْرَاقِكَ التى تَشَـــجُ [٦]

فاستخدام طريح للكلمات (مسلنطح) و (الحنى) و (الولج) و (تشج) تدل دلالة واضحة على أن لغة الشعر عنده تمثل ذوقاً معيناً . لعل الوليد بن يزيد طرب من معانيها ، وأمر أن يغنى له فيها ، ولكن الخليفة المهدى حين استمع إلى الأبيات قال : والله لا تقول لى فى مثل هذا أبداً ، ولا أسمع منك شعراً[١].

(١) تاريخ الطبرى ٨ / ١٨٣ .

وفى هذا دلالة على رفض الخليفة العباسى أن يمدح بمثل هذه الألفاظ التى لم تعد تواكب العصر وتمثل ذوقه .

وهو لازال يتغنى بهذه الألفاظ الفخمة الضخمة التى تملأ الفم وتقرع السمع فى مدح الوليد بن يزيد ، يقول :

لو يُرسِلُ الأزْلُ الظِّبَاءَ تَرُودُ ليس لَهُنّ قائد
لتيمَّمَتْكَ تَدُلُّها رَيَّاكَ للسُّبُلِ المَوَارِد
وإذا الرِّيَاحُ تَنَكَّرتْ نُكْباً هَوَاجِرُها صَوَارِد
فالنَّاسُ سَائِلَةٌ إليكَ فَصَادِراً لِلْغِنى وَوَارِد[٨]

ونحن نلاحظ الألفاظ (الأزل) (لتيممتك تدلها) (هواجرها) (صوارد) فقد بناها أعرابية بدوية ، أشاع فيها مثل هذه الألفاظ مع التركيب العربى ومخارج الحروف التى تكاد تتقارب فتشعرك بغرابة الألفاظ .

وانظر إليه يصف رجالاً بأنهم أسود أقوياء يدفعون أعداءهم دفعاً كيف صور هذا المعنى بهذه اللغة التى عودك على سماعها ، يقول :

غُبْسٌ خَنَابِسُ كلُّهنّ مُصَدَّرٌ نَهْدُ الزُّبُنَّةِ كالفَرِيشِ شَتِيمُ[٤٢]

أرأيت إلى ألفاظ البيت (غبس ، خنابس ، مصدر ، الزبنة ، الفريش ، شتيم) ولهذا يستشهد بها صاحب اللسان كدليل من أدلة الغرابة اللفظية التى جاء بها الشاعر من الطائف ورحل بها إلى دمشق ، أو تسمع إليه وهو يصف روضة عن طريق (الاستدارة) فيسمعك فيها زجل البعوض وأن الروضة تأنس به كثيراً ، وأن الجراع تروى أثولها وأراكها ، انظر إليه كيف يصعب عليك المعنى كثيراً ، ويوقفك حائراً أمام لغته هذه القديمة التى تمثل عنده تيار الشعر القديم ، وهذا أمر يعجب الرواة وعلماء اللغة كثيراً ، يقول :

ما مُسْبِلٌ زَجَلُ البَعُوضِ أنِيسُه يَرْوِى الجَرَاعُ أثُولَها وأرَاكَها[٢٦]

(إن اختيار هذه الألفاظ الرصينة دليل على تحقيق لون من ألوان المثل الجاهلى فضلاً عن أن قوة العبارة تربطهم بعجلة الأولين)[1].

فهل يمكننا القول : إن لغة الشعر تطورت فى القرن الثانى فى هجر الألفاظ الجزلة القديمة والبعد عن الحوشى الغريب ولم تتطور عند طريح ؟

فى الحقيقة ، لازال للقديم أثره وقوته وقدرته على جذب قلوب الكثيرين من محبى القديم من الشعراء والرواة والعلماء . وليس معنى التجديد فى لغة القرن الثانى أن الشعر الرصين قد هجر تماماً أو كانت هناك عوامل على اندثاره . لم يكن ذلك بالشىء اليسير ، إنما يمكننا القول : إن تيار التجديد عاش مع القديم الموروث جنباً إلى جنب .. وقد عرف القديم الموروث فى أوساط العلماء والرواة وبلاط الخلفاء ، وعرف الجديد بين البيئات الشعبية . لهذا فإن تيار الشعر المحافظ لم تتطور لغته بل ظلت هكذا فى القرن الثانى . وأبيات طريح السابقة أصدق بيان لوجود مثل هذه اللغة التى لا يخاطب بها العامة فى الطرقات ، وإنما يخاطب بها الخاصة . إن لتيار الشعر القديم قوة الثبات أمام مؤثرات الجديد .

اقرأ له بيته الذى يبين فيه سرعة فرسه حين يسمع صوت الثعلب تجد أنك أمام شاعر لا يمت إلى عصره لغة أو معنى ، يقول :

تَكَادُ تَخْرُجُ مِن أَلْسَاعِهَا مَرَحــاً ... إذا ابنُ أرضٍ عَوَى بالبِيدِ أَوْ ضَبَحا[7]

وإذا عجبنا من ذلك فإن عجبنا لا ينقضى لوجود هذا المنهج الفنى القديم فى الشعر وسيطرة القديم على طريح فى بلاط الوليد وفى عصره . ولن نترك إعجابك يزول فسوف تقرأ معنا بيتاً له كان فى صدره قديماً أعرابياً بدوياً فى لغته ومعناه ، وكان فى عجزه جديداً رقيق الألفاظ سهل المعانى يقول :

كالبَيْضِ بالأُدْحِىِّ يَلْمَعُ فى الضُّحَى ... فالحُسْــنُ حُسْــنٌ والنَّعِــيمُ نَعِيمُ[41]

(١) الحياة الأدبية فى البصرة ص ٢٧٦ .

وإذا تقدمنا إلى أبياته مرة أخرى لاحظنا فيها كيف أثرت فيه الحضارة فرققت منها ، وتدفقت فى ألفاظه دماء جديدة لا قبل له بها فى شعره ، وكأنها تفصل بين عهدين . ولم ذلك ؟ فمن الممكن أن يلتقى تياران مختلفان من الشعر فى شاعر واحد ، وإن كنا أعطينا النتيجة قبل الدليل ، ذلك لوضوح الدليل من شعر طريح حين نلم به ، يقول مادحاً (وهو من المعانى التى سبق إليها)[1].

جَوَادٌ إذا جِئْتَهُ راجِياً كَفَاكَ السُّؤَالَ وإنْ عُدْتَ عَادا
خَلائِقُه كَسَبِيكِ النُّضَارِ لا يَعْمَلُ الدَّهْرُ فِيها فَسَادا[٩]

أو يقول :

مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ إنْ أَفَلَتْ منها نُجُومٌ بَدَتْ نَظَائِرُها[١٥]

أو يقول من قصيدة يعرض فى البيت إيمانه بأن لا خلود لإنسان وإنما الخلود لله سبحانه ، ويبقى من الإنسان عمله .

بَلْ كُلُّ شَىْءٍ سيُبْلِى الدَّهْرُ جِدَّتَهُ حتى يَبِيدَ ، ويَبْقَى اللهُ والعَمَلُ[٣٠]

وفى القصيدة نفسها تياران للشعر قديمه وجديده ، وأنت إذا قرأت هذه الأبيات السابقة خيل إليك أنك أمام شاعر آخر فيه رقة ، وجمال لفظ يجرى على اللسان فلا يتوقف ، وتنساب الألفاظ سهلة هينة لينة لا تجد فيها خشونة أو وحشية . ولا شك أن الحياة المتحضرة فى الشام ألقت ظلالها عليه وعلى لغته ، وأثرت فيها أثراً كبيراً ، فأشاعت الترف فى ألفاظه ، ورققت من معانيه ولكن والحق يقال لم نر فى شعر طريح الثقفى أسلوباً مولداً ، ولم يصله تأثر بالأسلوب المولد الذى وجد مع الشعراء الموالى فى ذلك العصر ، فقد احتفظت لغته بعربيتها ورقتها لا بشعبيتها ، وبقيت لغة طريح سليمة من اللحن ، بعيدة عن الليونة . ولهذا رأينا صاحب اللسان يستشهد بمجموعة من أبياته للدلالة على عربية شعره ، وهذا بالضبط ما كان يعجب الوليد فى شعر طريح .

---

(١) أمالى المرتضى ١ / ٥٧٤ .

هل نستطيع أن نقول بعد ذلك : إن طريحاً ساير فى لغته عصره ؟ ولماذا لا نقول إننا نقسم لغة طريح بين عهدين : عهد يذكرنا بوطنه ثقيف كانت لغته فيه صدى المجتمعه هناك ، ولغة طرأ عليها ما طرأ على المجتمع فى الشام من تجديد فى نواحى الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية . (إننا لا نقول إن اللغة العربية القديمة قد استبدلت فى القرن الثانى بلغة أخرى ولكننا نقول إنها تطورت وتغيرت فى طرائق تعبيرها وفى تركيب جملها وفى مادتها اللغوية نفسها . وهذا التطور قد يكن واضحاً وضوحاً جلياً يدركه الإنسان لأول وهلة ، وذلك حين يكون فى المادة اللغوية أو طريقة التعبير)[1].

وإذا كنا قد وضحنا فيما سبق الاختلاف فى شاعر واحد فى مادة اللغة وهى الألفاظ فإننا يمكن أن نلاحظ كذلك التطور الذى حدث فى التركيب ، خذ مثلاً أبيات المدح عنده تجد فيها البناء الأعرابى يقول فى مقدمتها الغزلية :

وَيْحِى غدًا إنْ غـدَا علىَّ بِمَـا ... أُكْرَهُ مِن لَوْعةِ الفِـرَاقِ غَـدُ
قد كنتُ أَبْكِى مِن الفِـراقِ وحَيـ ... ـيانا جَمِيـعٌ ، ودارُنـا صَـدَد
فكيف صَبْرِى وقد تَجَاوبَ بالفُـ ... ـرْقَةِ منهـا الغُـرَابُ والصُّـرَد[١٠]

ويقول فى مدحـه :

وأَنَّ ما قَدْ صَنَعْـتَ مِن حَسَـنٍ ... مِصْدَاقُ ما كُنْـتَ مَرَّةً تَعِـدُ
أَلَّفْـتَ أهواءَهـم فأصبحتِ الأ ... ضْغَـانُ سَلْماً وماتتِ الحِقَـد
كنتُ أَرَى أنَّ ما وَجَـدْتُ مَن الفَـ ... ـرْحَةِ لم يَلْقَ مِثْـلَه أَحَـد[١٠]

واقرأ معنا أبيات يزيد بن ضبة الثقفى وهو من موالى ثقيف وطال مكثه بجانب الوليد فتجد الفرق فى الصياغة والتركيب ، يقول فى مدحـه للوليد بن يزيد

بَلَوْنَـاه فأَحْمدْنَـا ... ه فـى عُسْـرٍ ومَيْسُـورِ
إمـامٌ يُوضـحُ الحَـقَّ ... لـه نـورٌ علـى نـور

(١) اتجاهات الشعر ص ٥٨٤ .

مقـــالٌ مـن أخـــى ودٍ بحفـــظِ الصِّـدْقِ مَأْثُـــــور
بإحكـــامٍ وإخْـــــلاصٍ وتَفْهِـــيمٍ وتَخْبِـــــــــير[1]

وتجد كذلك هذا البناء اللغوى والسبك القوى فى بناء الجملة عند طريح بناء أعرابياً قوياً فيه جزالة قوية الرنين . وقد عرف هذا الاتجاه عنه حتى إن الذين حسدوا طريحاً على مكانته من الوليد ما كانوا ليستطيعوا التأثير على هذه المكانة ورفعه أو خلعه من قلب الوليد إلا بهذا الاتجاه نفسه ، فقد انتهزوا وجود حماد الرواية فى الشام (وشكوا ذلك إليه وقالوا : والله لقد ذهب طريح بالأمير ، فما لنا منه ليل ولا نهار . فقال حماد : ابغونى من ينشد الأمير بيتين من شعر ، فأسقط منزلته)[2] وصنع حماد الراوية بيتين على نفس السبك وبناء الجملة المعروفة لطريح ، قال فيهما :

سِيرِى رِكابى إلى مَنْ تَسْعِدِينَ بـــه فقد أقمتِ بدار الهُونِ ما صَلَحَـــا
سِيرِى إلى سَيِّدٍ سَمْحٍ خلائِقُـــه ضخـــمِ الدَّسِيعَةِ قَرْمٍ يحمِلُ المِدَحا

أرأيت إلى أى مدى بلغت شهرة طريح الثقفى فى بناء الجملة عنده وفى لغته . والملاحظة الجديرة بالاهتمام هى أن طريحاً لم يكن يتكلف هذا الأسلوب لإرضاء ممدوحه ، ومن المعروف أن الوليد بن يزيد له منهج فى الشعر مغاير تماماً لشاعره ، ولهذا فإن طريحاً عد هذا البناءِ منهجاً فنياً يدل على شخصية مستقلّة ، فأرضى إحساس الشاعر فيه عن هذه الطريقة المغايرة تماماً لما عليه بلاط الوليد بن يزيد وشعراؤه .

ولتكتمل صورة القديم والجديد عندنا لنا ملاحظة أخيرة هى أن الأوزان أى البحور الشعرية إذا كانت تمثل ارتباطاً وثيقاً بالقديم الموروث فإنها كذلك تدل على نوع من التطور أصابها فى القرن الثانى . والحقيقة (إن شيوع الغناء فى القرن الثانى واهتمام الطبقات المختلفة به وإقبالها عليه مما جعله فنا شعبياً عاماً ليس

(١) الأغانى ٧ / ٩٧ .
(٢) الأغانى ٤ / ٣١٢ .

وقفاً على طبقة الأثرياء الذين يمكنهم تهيئة مجالس خاصة للغناء تمتاز بالبذخ والترف قد أثر فى شعر هذا القرن تأثيراً واضحاً فى انصراف الشعراء عن الأوزان الطويلة المعقدة حتى فى أكثر فنون الشعر جدية كالمديح والرثاء. وإقبالهم على الأوزان الرشيقة الخفيفة التى تلائم الغناء فى المجالس والمنتديات ودور اللهو والرقص)[1].

ولقد أحاط بطريح فى قصر الوليد أنواع من الغناء، وشعراء كانوا يصنعون أبياتهم صنعاً للغناء، فيتخيرون من الأوزان ما يلائم الغنــاء ومن الألفاظ ما يلائم الشعبية، ولسنا نجد بيتاً مثل قول الوليد بن يزيد :

يا سُلَيْمَـــى يـا سُـلَيْمَـــى كنـــتِ لِلْقَـــلْـبِ عَذَابَـــا

فى شعر طريح أبداً، ولن نجد، ذلك لأن الرجل ملتزم بالأوزان العربية التى تلائم معانيه ولا تصلح للغناء، وإن غنى بعضهم بشعره أمام الوليد وبطلبه فقد أمر ابن عائشة أن يغنيه بأبيات طريح (أنت ابن مسلنطح البطاح)[2]. ولكن طريحاً لم يرد إلى ذلك، ولم يسف فى شعره إلى هذا الحد والتقييم العددى لأوزانه يثبت لنا ذلك فإن أكثر البحور الشعرية التى أنشأ عليها شعره هى بحر الكامل (٨١ بيتاً) والبسيط (٧٢ بيتاً) وأقلها الطويل (١٦ بيتاً) أما المنسرح (٤٧ بيتاً) فهو من الأبحر النادرة التى أعادها إلى الاستعمال فى القرن الثانى الهجرى، وكتب على « المتقارب » بيتين وعلى « مجزوء الكامل » أربعة أبيات وعلى (الوافر) تسعة أبيات وعلى الخفيف (بيتين) والتقييم العددى هذا وإن كان بعيداً عن منهجية البحث فإنه يثبت حتماً مدى احتفال طريح بالأوزان الرصينة، وأن ما شاع بين شعراء القرن الثانى من استخدام الأوزان القصيرة والمجزوءات لم يكن يستهويه .

---

(١) اتجاهات الشعر ص ٥٦٨ .

(٢) الأغانى ٤ / ٣١٧ .

لا نظن أن طريحاً – كما سبق أن عرضنا – أراد من شعره أن يكون للبيئات العامة ، وليس له شعر قصد به قصداً أن يخاطب به غير الخاصة ، وإن كان قد استفرغ شعره كله فى مديح الوليد بن يزيد ، فقد رأيناه فى شعره مغايراً تماماً للتجديد الذى طرأ على شعراء القرن الثانى والذى أرادوا به أن ينقلوه إلى العامة ، ونستطيع أن نقرر أن شعراء القرن الثانى كان لهم منهجان : منهج الشعر قديم فى قصور الخلفاء وبين أيدى الرواة ، حتى إذا خلا بعضهم بعيداً عن أرستقراطية البيئات العلمية نهجوا نهجاً حديثاً فى شعرهم ، نقلوا به أبياتهم من قصور الخلفاء إلى البيئات العامة . ولم يكن طريح على هذه الصورة . إن الصنعة الشعرية عند طريح تحكم بذلك ، مع ملاحظة ما سبق أن عرفناه وهو التزامه بنهج القصيدة العربية أمام الوليد بن يزيد ، ولم يعترض على أسلوب طريح فى علاج فكرته ، ولم يغضب لأن شاعره ملتزم .

فإذا كان طريح ملتزماً نهج القصيدة العربية كما عرفنا فهل نراه ملتزماً الصنعة الشعرية ؟

إن الصنعة الشعرية نوعان : الصنعة اللفظية ، والصورة الشعرية . ولقد كان الجاهليون لا يأبهون بالصنعة اللفظية ولا يولونها اهتمامهم بقدر ما أعطاها المحدثون من شعراء القرن الثانى اهتماماً زائداً وأبدعوا فيها ، بمعنى أن الصنعة اللفظية من جناس وطباق ومقابلة ومشاكلة لم تكن ترد فى ثنايا أبياتهم إلا عفواً وليس عن طريق الصنعة أو التعمد لإحداث أثر ما فى نفوس السامعين ، كانت صنعتهم طبيعية غير متكلفة ، إنما تكلفها الشعراء فى القرن الثانى بآخرة لأنهم رغبوا فى إحداث أنواع مختلفة من التأثير .

وإذا وقفنا نتفحص شعر طريح من هذه الناحية وجدنا هذا النوع من الشكل الشعرى يتجه عنده اتجاهين أيضاً : تراه فى أبياته يأتى عفواً ، وتراه فى

أخرى يعمد إليه عمداً لأن المعنى يتطلبه . فهو يطابق فى مجال الاعتذار بين موقف الشامتين وسرورهم وبين موقف الناصحين وإشفاقهم ، يقول :

فَذُو الشَّمَاتَةِ مَسْرُورٌ بِهَيْضَتِنَـــا   وذُو النَّصِيحَـةِ والإشْفَاقِ مُكْتَئِبُ[٤]

ويقابل بين العسر والغنى ، فهما أمران لا يدومان لأحد ، وقد صاغ المعنى صياغة حكمية اقتضت هذا النوع من البديع ، يقول :

قَدْيَعْلَمُونَ بأنَّ العُسْــرَ مُنْقَطِــعٌ   يَوْمـاً وأنَّ الغِنَى لابُــدَّ مُنْقَلِــبُ[٤]

ويرى الناس أعداء للفقير ، أخوة للغنى فيصوغ البيت أيضاً صياغة حكمية تقتضى هذه المقابلة ، يقول :

والنَّاسُ أعْـدَاءٌ لِكُلِّ مدقــــعٍ   صِفْـرِ اليَدَيْنِ وأخــوةٍ للمُكْـثِرِ[١٨]

ويتوسع فى ذلك كما كان القدماء يفعلون فيقابل بين الحروف ، يقول :

وما « نَعَم » مِنْك للعافِينَ مُسْتَجَلَةٌ   مِن التَّخَلُّـقِ لكن شِيمَةٌ خُلُـــقُ
سَاهَمْتَ فيهاوفى«لا»فاخْتَصَصْتَ بها   وطَار قَوْمٌ بـ «لا» والذَّمُّ فانْطَلَقُوا[٢٤]

وترى طريحاً حين ترتفع نغمة الصنعة اللفظية عنده يجنح إليها جنوحاً ، ويعمد إليها عمداً فيكرر ظاهرة حسن التقسيم فى أبياته ، يقول عن أعدائه والذين وشوا به :

إنْ يِسْمَعُوا الخَيْرَ يُخْفُوه ، وإنْ سَمِعُوا   شَرًّا أذَاعُوا ، وإنْ لم يَسْمَعُوا كَذَبوا[٤]

ويقول عن نسب الوليد بن يزيد وأسرته وأصله :

إنْ حَارَبُوا وَضَعُوا ، أو سَالَمُوا رَفَعُوا   أو عَاقَدُوا ضَمِنُوا ، أو حدَّثُوا صَدَقُوا[٢٤]

ومع حسن التقسيم يظهر اهتمامه بالقوافى الداخلية ، يقول الوليد :

فإنتَ غَيْثُهُمْ نَفْعـاً ، وطَوْدُهــم   دَفْعـاً ، إذا ما مَرَادُ المُمْتَشِى جَدَبا[٣]

وهذا التوازن بين الجمل الذى يعمد إليه ، يقول :

فَلا تَسُـرَّنَّكُمْ نَعْمَــاءُ ذَاهِبَــةٌ   ولا تَغُمَّنَّكُم بَأْسَـاءُ تُقْتَضَـــبُ[٤]

وإذا ربط بين مكة وثقيف أو بين قصى جد الأمويين وبين قسى جد الثقفيين ، جانس بينهما فقال :

فَنَمَتْ فُروعُ القريتينِ قُصَيُّهـا   وقَسِيُّهـا بك فى الأَشَمِّ الأَكْـبَرِ[١٩]

ويجانس بين الفعل والاسم فى صورة لفظية فيها خفة الظل وجمال الأسلوب ، وروعة السبك حتى ليخيل إليك أن لا صنعة هنا وأنه لم يعمد إليها ، يقول :

وَيْحِى غداً إنْ غَدَا عَلَىَّ بِمَـا   أَكْرَهُ مِن لَوْعَـةِ الفِـراقِ غَـدُ[١٠]

هذه هى صورة الزخارف التى تجدها فى شعر طريح ، وهو فى معظمها لم يقصد إليها قصداً ، وإنما جاءت إلى شعره ووقعت بداهة وارتجالا ، فلم يكن طريح من هؤلاء الذين يتأنقون ويصنعون قبل أن يقولوا ، إنما كان ما يقوله نتيجة لطبع شاعر بدوى يميل فى شعره إلى هذه الصنعة البدوية .

أما الجانب الآخر من الشكل الشعرى فهى الصنعة الشعرية أو الصياغة الفنية ، وهو فى صوره الشعرية يمثل الجانبين : جانب القديم الذى يلتزم فيه الشاعر عمود الشعر الجاهلى فى صياغة الصور الفنية ، وجانب محدث أثرت فيه الحضارة فخلقت عنده بعض الصور الحضارية ، يقول :

مَـالِى أُذَادُ وأُقْصَى حين أَقْصِدُكـم   كما تُوَقَّى مِن ذِى العُرَّةِ الجَـرَبُ[٤]

ولا يشك أحدنا فى أن الشعر الجاهلى فيه كثرة من هذه الصورة ، حين كانوا يطلون الجمل الأجرب بالقار ويفردونه حتى لا يعدى السليم ، وأقرب مثل إلينا من شعر النابغة ، يقول :

فَلَا تَتْرُكَنِّى بالوَعِيـدِ كَأَنَّـنِى   إلى النَّـاسِ مُطْلِىٌّ به القارُ أَجْـرَبُ[١]

واستعارة الحبل للرباط صورة قديمة ، يقول :

رَأَوْا صُدُودَكَ عَنِّى فى اللِّقَـاءِ فقـد   تَحَدَّثُوا أَنَّ حَبْلِى مِنْكَ مُنْقَضِـبُ[٤]
فارقتُها لا فُـؤَادِى مِن تَذَكُّرِها   سَالِى الهُمُومِ ولا حَبْلِى لَهَا خَلَقُ[٢٤]

---

(١) ديوان النابغة ص ٧٣ .

وبعيره هذا وما فيه من العيوب والنقب مما يحتاج معه إلى علاج بالقار بعد ليل السرى وقد خوصت عينه وغارت صورة قديمة كذلك :

وَهِزَّى العِيسَ مِنْ أَرْضٍ يَمَانِيَةٍ   إليك خُوصاً بها التَّغْبِينُ والنُّقَبُ[٤]

وحين يمدح قومه من ثقيف يصور الحق عندهم فى المال مثل الغنائم تحوى وتنتهب ، يقول :

فَمَالُهُم حُبُسٌ فى الحَقِّ مُرْتَهَنٌ   مثلُ الغَنَائِمِ تُحْوَى ثم تُنْتَهَبُ[٤]

وإذا خلا المراد من نسل الماشية كان ممدوحه كالغيث فى النفع ، والطود فى الدفع :

فأنتَ غَيْثُهُمُ نَفعاً ، وطَوْدُهُم   دَفْعاً ، إذا ما مَرَادُ المُمْتَشِى جَدَبا[٣]

واقرأ معنا هذه الصورة التى استخرج جزئياتها من صور الجاهليين وقد رددوها كثيراً فى أشعارهم ، يقول :

نَامَتْ خلاخِلُهَا وجَالَ وِشَاحُها   وجَرَى الوِشَاحُ على كَثِيبٍ أَهْيَلِ
فاستيقظتْ منه قلائدُها التى   عُقِدَتْ على جِيدِ الغَزَالِ الأَكْحَلِ[٤٠]

فقد تعود الجاهليون أن يصفوا المرأة بأنها بضة ، ريا الشاقين ، ويصورون قدها كأنه الكثيب الذى يكاد أن ينهال ، وجيدها كجيد الغزال ، وتسمع للقلائد صوتاً فيه عذوبة اللحن فإن نامت خلاخلها فإن قلائدها لم تنم . صورة جاهلية بكل جزئياتها .

وصورة الخيال الذى يفرى السراة مع الرباب ، وصورة وجه ابنه كالسراج فى الليلة الظلماء صورة قديمة تستمد أصولها من الصور الجاهلية ، يقول :

باتَ الخيالُ من الصُّلَيْتِ مُؤَرِّقِى   يَفْرِى السَّرَاةَ مع الرَّبَابِ المُلْثِقِ
ما راعَنى إلّا بَيَاضُ وُجَيْهِهِ   تحت الدُّجُنَّةِ كالسِّراجِ المُشْرِقِ[٢٥]

وإلى جانب هذه الصور الجاهلية تمسح الحضارة على صوره الأخرى جانباً من الإشراق ، فيعطينا معنى يسبق إليه ، يقول :

خَلائِقُـــه كَسَـبيكِ النُّضَـــــا ... رِ لا يَعْمَلُ الدَّهْرُ فيهـا فَسَـــادا[٩]

وصورة معنوية حين يطلب من الوليد كساء من البِشْر فهو دليل معروفه ، يقول :

فاكْسِنِى البِشْرَ إنّه شاهِدُ العُـرْ ... فِ كما شاهدَ القنوطَ الوجُـــومُ[٤٣]

ونعود فنجد طريحاً يعتمد على عنصر آخر من عناصر التصوير ، إنه يشخص الود والإخلاص كرائد يقوده فى معاملته مع خليفته ، تتقارب بهما المسافات ، وتدنو إليه الغايات ، يقول :

يَقُودُنى الودُّ والإخــلاصُ مُخْتَرِمِى ... مِن أَبْعَـدِ الأرْضِ حتى مَنْزِلى كَثَبُ[٤]

ويبرز عن طريق التشخيص دموعه كأنها اللؤلؤ يسيل فى تتابع وفى نسق واحد ، يقول :

فاضَتْ على إثْرِهم عينــاك دمعُهما ... كما تَتابعَ يَجْرِى اللؤلؤ النَّسَـــقُ[٢٤]

وليبين مقدرته على صوغ الشعر وأنه يقف عند أبياته ينتقى الألفاظ يصور شعره كأنه عقد فيه اللؤلؤ الأبيض وفيه الذهب ، يقول :

وَحَوكىَ الشِّـعْرَ أُصفِيـه وأُنْظِمُـه ... نَظْمَ القَلائِدِ فيها الدُّرُّ والذَّهَـــبُ[٤]

وتراه يعمد إلى الكناية حين يوضح أن الحقد ملأ صدور أعدائه حتى الأذقان ، يقول :

أُمْشِمِتٌ بِىَ أقواماً صُـدُورُهُمُ ... علىَّ منـك إلى الأذْقَانِ تَلْتَهِـــبُ[٤]

والحق يقال : إن مقدرة طريح على التجديد فى التصوير إذا قارناها بشعراء القرن الثانى كانت مقدرة بسيطة جزئية ، والسبب فى ذلك أن القديم يشده شداً ، وأن الجديد عنده جزئى لا يتعدى تأثر شاعر بدوى بمفاهيم الحضارة فى دمشق ، وأنها لم تتغلغل فيه تغلغلاً كاملاً ، ولعل ما سقط من شعره يثبت عكس ما نقول .

ثانياً : الشــــعر

(١)

(الكامل)

ما كنتُ أحسب أنّ بحرا زاخرا   عمَّ البريةَ كلَّها الدَّأْدَاءَ
أضحى دَفِينا فى ذِراعٍ واحد   مِن بَعْدِ ما ملأَ الفضاءَ عَلاء
إلّا عطاياه الجِسَام ، فإنّها   فَضَحتْ بأدنى جودِها الأنْوَاء

التخريج : البيتان ١ ، ٢ فى الموازنة للآمدى ص ٨٣ ، عند ذكره لسرقات أبى تمام (وقال آخر ، ولست أدرى أهو قبل الطائى أو فى أيامه) (١ : كلها إرواء) (٢ : من بعد ما ملك الفضاء فضاء) ، وهى فى الأشباه والنظائر للخالديين ٢/٢٣٥ .

(٢)

(البسيط)

به دَخِيلُ هوًى ضَمْرٍ إذا ذُكِــرَتْ   سَلْمَى له جاشَ فى الأَحْشَاءِ والْتَهَبَا

التخريج : اللسان مادة (ضمر) ٦/١٦٣ .

(٣)

(البسيط)

فأنتَ غَيْثُهمُ نَفْعا ، وطَوْدُهُــمُ   دَفْعا ، إذا ما مَرَادُ المُنْتَشِى جَدَبـا

التخريج : اللسان مادة (مشى) ٢٠/١٥١ .

(٤)

(البسيط)

١ يا بن الخلائف ما لى بعدَ تَقْرِبةٍ ... إليكَ أُقصى وفى حالَيْكَ لى عَجَبُ
٢ ما لى أُذَادُ وأُقصَى حين أَقْصِدُكم ... كما تُوُقِّىَ مِن ذى العُرَّةِ الجَرَبُ
٣ كأنَّنى لم يكنْ بينى وبينكم ... إلٌّ ولا خُلَّةٌ تُرْعَى ولا نَسَبُ
٤ لو كان بالوُدِّ يُدْنَى منكَ أَزْلَفَنِى ... بِقُرْبِك الودُّ والإشفاقُ والحَدَبُ
٥ وكنتُ دونَ رجالٍ قد جَعَلْتُهمُ ... دونى ، إذا ما رَأَوْنى مُقْبِلاً قَطَبوا
٦ إنْ يَسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوه ، وإن سَمِعوا ... شرًّا أذاعوا ، وإن لم يَسْمَعوا كَذَبوا
٧ رأَوْا صُدُودَك عنِّى فى اللِّقاءِ فقد ... تَحَدَّثوا أن حَبْلِى منكَ مُنْقَضِبُ
٨ فَذُوا الشَّمَاتَةِ مسرورٌ بهَيْضَتِنا ... وذُو النَّصيحةِ والإشفاقِ مُكْتَئِبُ
٩ هلَّا تَحَسَّبْتَ عن عذرى وبَغْيِهمُ ... حتَّى تَبينَ على مَنْ يرجِعُ الكذِبُ
١٠ ما كان يَشْقَى بهذا منكَ مُرْتَغِبٌ ... خالٌ ولا الجارُ ذو القُرْبَى ولا الجُنُبُ
١١ أينَ الذِّمامةُ والحقُّ الذى نَزَلَتْ ... بحِفْظِه وبتعظيمٍ له الكُتُبُ
١٢ وحَوكىَ الشِّعْرَ أُصْفِيهِ وأَنْظِمُهُ ... نَظْمَ القلائدِ فيها الدُّرُّ والذَّهَبُ
١٣ وهزِّىَ العِيسَ من أرضٍ يمانيةٍ ... إليك خُوصًا بها التَّعْيِينُ والنَّقَبُ
١٤ يَقُودُنى الودُّ والإخلاصُ مُخْتَرَمِى ... من أَبْعَدِ الأرضِ حتى منزلى كَثَبُ
١٥ وكنتُ جارا وضَيفا مِنكَ فى خَفَرٍ ... قد أبصرتْ منزلى فى ظِلِّكَ العَرَبُ
١٦ وكان مَنْعُكَ لى كالنَّارِ فى عَلَمٍ ... فرد يشبُّ سناها الريحُ والحَطَبُ
١٧ وإن سُخْطَكَ شىءٌ لم أُناجِ به ... نفسى ، ولم يكُ مما كُنتُ أَكْتَسِبُ
١٨ لكن أتاك بِقَوْلٍ كاذبٍ أَثِمٍ ... قومٌ بَغَوْنى فنالوا فىَّ ما طَلَبوا
١٩ وما عَهِدْتُكَ فيما زَلَّ تَقْطَعُ ذا ... قُرْبَى ، ولا تدفَعِ الحقَّ الذى يَجِبُ
٢٠ ولا توجِّعُ من حقٍّ تَحَمَّلُهُ ... ولا تَتَبَّعُ بالتَّكْديرِ ما تَهَبُ
٢١ فقد تقربتُ جهدا مِن رضاكَ بما ... كانتْ تُنالُ به مِن مِثْلِك القُرَبُ
٢٢ فلا أَرانى بإخلاصى وتَنْقِيَتى ... لك الثناءَ وقُرْبى منكَ أَقْتَرِبُ
٢٣ قد كنتُ أحسبُنِى غيرَ الغريب فقد ... أصبحتُ أُعْلِنُ أنِّى اليومَ مُغْتَرِبُ
٢٤ فغيرَ دَفْعِكَ حَقِّى وارْتفاضِكَ لى ... وطيِّكَ الكَشْحَ عنِّى كُنتُ أَحْتَسِبُ

٢٥ أَمُشْمِتٌ بِىَ أقواماً صُدُورُهمُ | علىَّ منك إلى الأذْقَانِ تَلْتَهِب ؟
٢٦ قد كنتُ أحسَبُ أنى قد لجأتُ إلى | حِرْزٍ وألا يَضُرُّونى وإنْ ألَبُوا
٢٧ إنَّ الذى صُنْتُها عن مَعْشَرٍ طَلَبُوا | منِّى إلىَّ الذى لم يُنْجِحِ الطَّلَب
٢٨ أخلصتُها لك إخلاصَ امرىءٍ عَلِمِ الأ | قْوامُ أن ليس إلا فيك يُرْتَغَب
٢٩ أصبحتَ تدفَعُها منِّى وأعطِفُها | عليك وَهْىَ لمن يُحْبَى بها رَغَب
٣٠ فإنْ وصلتَ فأهلُ العُرْف أنت ، وإنْ | تَدْفَعْ يدىَّ فلى بُقْيَا ومُنْقَلَب
٣١ فاحفظْ ذِمَامَك واعلَمْ أنَّ صُنْعَك بى | بمسمع من عِداةٍ ضِغْنُهم ذَرِب
٣٢ إنِّى كريمٌ كِرَامٍ عِشْتُ فى أدَبٍ | نَفَى العُيوبَ ، ومَلْكُ الشِّيمةِ الأدَب
٣٣ قد يعلَمُونَ بأن العُسْرَ مُنْقَطِعٌ | يوما ، وأنَّ الغِنَى لابدَّ مُنْقَلِب
٣٤ فَمَالُهُم حُبُسٌ فى الحقِّ مُرْتَهَنٌ | مثلُ الغنائم تُحْوَى ثم تُنْتَهَب
٣٥ وما على جارِهم ألا يكونَ له | إذا تكنَّفَه أبياتُهم نَشَب
٣٦ لا يفرحون إذا ما الدَّهرُ طاوعَهم | يوما بيُسْرٍ ، ولا يَشْكُون إن نُكِبوا
٣٧ قومٌ لهم إرثُ مَجْدٍ غيرُ مُؤْتَشَبٍ | تَنْقَادُ طوعا إليه العُجْمُ والعَرَب
٣٨ فلا يَسُرَّنْكُمُ نَعْمَاءُ ذَاهِبَةٌ | ولا تَغُمَّنكم بأْساءُ تُقْتَضَب
٣٩ فارقتُ قَوْمِى فلم اعتضْ بهم عِوَضا | والدَّهْرُ يُحْدِثُ أحْدَاثاً لها نُوَب

التخريج : روى ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ٦٨٢/٢ خمسة أبيات ١ ، ١١ ، ٩ ، ١٠ ، ٦ (١ : إليك أجفى) (٦ : إن يعملوا الخير .. وإن عملوا .. شرا .. أذيع .. وإن لم يعملوا ..) ، والبيت ٦ فى عيون الأخبار ٢٨/٢ وفيه (قال طريح الثقفى يذم قوماً) ، وروى البحترى فى حماسته ص ١٢٠ البيتين ٣٧ ، ٣٦ ، كذلك روى فى حماسته ص ٢٢٥ البيتين ٣٣ ، ٣٨ (٣٣ : قد تعلمون بأن العيش) وقافيته (مستلب) ، والسادس فى الكامل للمبرد ٣١٤/٢ ، وفيه (وقال أحد الماضين) ونسبه المعلق إلى طريح مستنداً إلى نسخة الكامل . والأبيات ما عدا ٨ ، ٩ ، ٣٧ فى الأغانى ٣١١/٤ ،

والسادس فى العمدة ٢١/٢ جاء به فى باب التقسيم ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٧ فى تهذيب ابن عساكر ٥٧/٧ ، ٥٨ (٢ : أذاد وأرمى) (١٢ : أحيكك الشعر) (١٧ : أحتسب) (١٨ : بقول آثم كذب) ، والسادس فى نهج البلاغة ٦٥٧/٢ منسوب لطريح (إن يعلموا .. وإن علموا .. وإن لم يعلموا ..) ، والسادس فى نهج البلاغة ٢٥٣/٥ ، قبله (فدع عنك ما لا تعرف : أى لا تبن أمرك إلا على اليقين والعلم القطعى ، ولا تصغ إلى أقوال الوشاة ونقلة الحديث ، فإن الكذب يخالط أقوالهم كثيراً ، فلا تصدق ما عساه يبلغك عنى شرار الناس ، فإنهم سراع إلى أقاويل السوء ، ولقد أحسن القائل فيهم .. البيت) ، والأبيات ١ — ٧ فى تجريد الأغانى ٥٧٥/٢ (١ : مالى بعد تقربة) والأبيات ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٣٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٦ فى الحماسة البصرية ٢٠/٢ (١٨ : وقد أتاك بقول آثم كذب) (٢١ : تقربت جهدى فى رضاك) (٧ : فقد ترامسوا أن حبلى) (١٩ : ولا تقطع الحق الذى يجب) (٢٥ : أمشمت أنت .. على الأذقان تلتهب) ورواية السادس :

إن يعلموا الخير يخفوه ، وإن علموا   شرا أذاعوا ، وإن لم يعلموا كذبوا

وروى بعد البيت ١١ بيتين ١٣ ، ١٤ ، وبعد البيت ١٢ بيتين ١٥ ، ١٦ ، وبعد البيت ١٧ بيتين ٢٢ ، ٢٣ ، وبعد البيت ١٩ بيتاً آخر هو ٣١ ، والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ فى مختار الأغانى ٣٦٦/٤ (٦ : وإن سمعوا سوءا) (٨ : مسرور بقصتنا) (١٣ : ولم أك مما كنت) (١٤ : فنالوا فيه ما طلبوا) ، والسادس فى المستطرف دون عزو ص ١١١ ، والبيت ٣٦ فى مجموعة المعانى ص ٧٤ .

والسادس فى الدر الفريد ٢/٤ (وإن سمعوا سوءاً) ، والأبيات من (١ — ٨) فى عيون التواريخ ج ٥ ورقة ٩٧ (٨ : مسرور بفرقتنا) .

(٥)

(الكامل)

أَمْسَتْ تُصَفِّقُها الجَنُوبُ ، وأَصْبَحَتْ زَرْقاءَ تَطْرُدُ القَذَى بِحِبـــــاب

التخريج : اللسان مادة (طرد) ٤/٢٥٦ .

(٦)

(المنسرح)

أَنْتَ ابنُ مُسْلَنْطَحِ البِطَاحِ ، ولم تُطرَق عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ
طُوبَى لفَرْعَيْكَ من هُنَا وهُنَا طوبى لأَعْرَاقِكَ التى تَشِجُ
لو قُلْتَ للسَّيْلِ دَعْ طريقَكَ والمَـ ـوْجُ عليه كالهَضْبِ يَعْتَلِجُ
لَسَاخَ وَارْتَدَّ أو لَكَانَ لـه فى سائرِ الأرضِ عَنْكَ مُنْعَرَجُ

التخريج : الأول فى المعانى الكبير ٥٥٤/١ ، والأبيات الأربعة فى الشعر والشعراء ٦٨٢/٢ (١ : ولم تعطف) (٤ : لارتد أو ساخ) وترتيبها ١ ، ٣ ، ٤ ، ٢ ، والأول فى تاريخ الطبرى ١٨٣/٨ (قال ابن سلام : أخبرنى غير واحد أن طريح بن إسماعيل الثقفى دخل على المهدى فانتسب له ، وسأله أن يسمع منه ، قال : « ألست الذى يقول للوليد بن يزيد ... البيت ، والله لا تقول لى فى مثل هذا أبداً ، ولا أسمع منك شعراً ، وإن شئت وصلتك) ، والأول فى جمهرة اللغة ١١٣/٢ ، ٤٠٠/٣ ونسبه لابن الرقيات أو لطريح بن إسماعيل ، وهو فى الدرة الفاخرة ٤٩٥/٢ (تطبق عليك) ، والأبيات فى الأغانى ٣١٦/٤ ، والثانى وحده فى الأغانى ٧٦٨٤/٢٢ ، (وتمثل به محمد الأمين أول ما ولى الخلافة حين قال لأبى محمد التيمى « يا تيمى وددت أنه قيل فى مثل قول طريح بن إسماعيل فى الوليد بن يزيد .. فإنى والله أحق بذلك منه) ، والبيتان ٣ ، ٤ فى الفرج بعد الشدة ٣٢٧/١ (٤ : إلى طريق سواه منعرج) مسبوق بقوله : (أخبرنى أبو الفرج على بن الحسين الأموى المعروف بالأصبهانى ، وقال : أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى ، قال : حدثنا عبد الله بن شبيب قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن حمزة بن أبى عيينة المهلبى ، عن أبيه ، عن طريح بن إسماعيل الثقفى ، أنه دخل على أبى جعفر المنصور فى الشعراء ، فقال له : لا حياك الله ، ولا بياك ، أما اتقيت الله حيث تقول فى

الوليد : .. فقال طريح : قد علم الله أننى أردت الله بهذا وعنيته ، وقلت ذلك ، ويدى ممدودة إليه عز وجل . فقال أبو جعفر ، يا ربيع ، أما ترى هذا التخلص ؟ والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ فى ديوان المعانى ٢٤/١ وفيه (ومثل هذا الغلو قول طريح) ، والبيتان ١ ، ٢ فى الإبانة عن سرقات المتنبى ص ١٦٨ ، ١٦٩ (ولا يخفى عليك الحبى والولج) ، والبيتان ٣ ، ٤ فى العمدة ٢٠/٢ وفيه (وقال آخر وأحسبه أبا دهبل الجمحى أو طريحاً) (٤ : لا أرتد أو ساخ) ، والأبيات ٣ ، ٤ ، ٢ فى تهذيب ابن عساكر ٥٧/٧ (٤ : لارتد أو ساخ) ، والأول فى معجم البلدان لياقوت ٤٤٥/١ ، وهو فى نهج البلاغة ٧٠٧/٢ ، والأبيات فى تجريد الأغانى ٥٧٦/٢ ، والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ فى اللسان مادة (ولج) ٢٢٣/٣ (١ : ولم تعطف) (٤ : لارتد أو ساخ) ، والأول فى اللسان مادة (صلطح) ٣٤٩/٣ (تعطف عليك) ونسب صاحب اللسان البيت الأول فى ٣١٩/٣ مادة (سلطح) إلى ابن قيس الرقيات ، والأبيات فى مختار الأغانى ٣٧٠/٤ ، ٣٧١ ، والبيتان ٣ ، ٤ فى نهاية الأرب للنويرى ١٨٤/٣ وفيه (ومثله فى الغلو قول طريح بن إسماعيل) (٤ : لارتد أوساخ .. فى جانب الأرض) ، والأبيات ٣ ، ٤ ، ٢ فى عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى جـ ٥ ورقة ٩٧ (٤ : لارتد أو ساخ) .

(٧)

(البسيط)

تكــاد تخــرجُ من أنْسَاعِها مَرَحــا　　إذا ابنُ أرضٍ عَوَى بالبِيدِ أوْ ضَبَحا

التخريج : محاضرات الأدباء ٦٥٦/٤ .

(٨)

يقول فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

(مجزوء الكامل)

لو يُرْسِــلُ الأزْلُ الظِّبـــا　　ءَ ترُودُ ليس لَهُــنَّ قائِــدْ

لتيمَّمَتْـــكَ تدُلُّهـــا　　ريَّـاكَ للسُّـبُلِ المَــوَارِدْ

وإذا الرِّيَــاحُ تنكَّــرَتْ　　نُكْبًــا هَواجِرُهــا صَــوَارِدْ

فالنــاسُ ســائلةٌ إليـــ　　ــكَ فَصَــادِرًا تُغْنى وَوَارِدْ

التخريج : الأغانى ٢٥١/١٥ وفيه (أن هشام بن سليمان دخل يوماً على موسى الهادى فغناه لا يرسل الأزل ... الأبيات) ، والشعر لطريح بن إسماعيل الثقفى يقوله فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

(٩)

(المتقارب)

جَوَادٌ إذا جِئْتَهُ راجيًا ... كَفَاكَ السُّؤَالَ وإنْ عُدْتَ عادا
خلائقُهُ كَسَبِيكِ النُّضَارِ ، لا يَحْمِلُ الدَّهْرُ فيها فَسَادا

التخريج : أمالي المرتضى ١/٥٧٤ (وهو من المعاني التي سبق إليها) .

(١٠)

(المنسرح)

١ أقفـرَ مِمَّنْ يَحُلُّـه السَّـنَدُ — فالمُنْحَنَى فالعَقِيـقُ فالجُمُـدُ
٢ لم يَبْقَ فيها من المَعَـارِفِ بعــ — ــدَ الحَىِّ إلا الرَّمَـادُ والوَتِـدُ
٣ وعَرْصَـةٌ نَكَّـرتْ معالمَهـا الرِّيـ — ـحُ بها مَسْـجِدٌ ومُنْتَضَـدُ
٤ لم أنسَ سَلْمَى ولا لَيَالِيَنَــا — بالحَزْن إذ عيشُنا بها رَغَـدُ
٥ إذ نحن في مَيْعـةِ الشباب وإذ — أيامُنا تلك غضَّـةٌ جُـدُد
٦ في عِيشـةٍ كالفِرِنْـدِ عازِبَةِ الشُّـقْو — ةِ خَضْـراءَ غُصنُها خَضِـدُ
٧ نُحسَـدُ فيها على النَّعيم ومـا — يُولَـعُ إلّا بالنِّعْمَـةِ الحَسَـدُ
٨ أيامَ سَلْمَى غَرِيـرةٌ أُنُـفٌ — كأنّهـا خُـوطُ بانَـةٍ رُؤُد
٩ وَيحِـى غَـداً إنْ غَـدَا علىَّ بمـا — أَكْـرَهُ من لَوْعَـةِ الفِـراق غَـدُ
١٠ قد كنتُ أبْكِي مِن الفِـراقِ وحَيـ — ـيانا جَمِيـعٌ ، ودارُنـا صَـدَد
١١ فكيف صَبْرِى وقد تجاوبَ بـا — لفُرقة منها الغُـرَابُ والصُّـرَد
١٢ دَعْ عنـك سلمى لغـير مَقْلِيَـةٍ — وعُـدَّ مدحـا بيوتُـه شُـرُد
١٣ للأفضَـل الأفضَـل الخليفـةِ عبـ — ـدِ الله من دونِ شَـأْوِه صُعُـد
١٤ في وَجهِـه النُّـورُ يُسْـتَبَانُ كمـا — لاح سِـراجُ النَّهـارِ إذ يَقِـد
١٥ يَمْضِى علـى خَـيرِ ما يَقُـولُ ولا — يُخلِـفُ ميعـادَه إذا يَعِـد
١٦ مِن مَعْشَـرٍ لا يَشَـمُّ من خذَلـوا — عِزًّا ، ولا يُسْـتَذَلُّ مَـن رَفَـدوا
١٧ بِيضٌ عِظَـامُ الحُلُـومِ حَـدُّهم — ماضٍ حُسَـامٌ ، وخيرهم عَتَـد
١٨ أنتَ إمـامُ الهُـدَى الذى أَصْلَحَ اللّـ — ـهُ به النـاسَ بَعْدَمَـا فَسَـدوا
١٩ لمّـا أتى النّـاسَ أن مُلْكَهُـمُ — إليـك قد صـار أمرُه سَجَـدوا
٢٠ واستبشَـرُوا بالرِّضَـا تَبَاشُرَهـم — بالخُلْـدِ ، لو قِيـلَ إنكم خُلُـد
٢١ وعـجَّ بالحَمْـدِ أهـلُ أرضِـك حـ — ـتّى كاد يَهتزُّ فَرْحَـةً أُحُـد
٢٢ واسـتقبلَ النـاسُ عِيشـةً أُنُفـا — إنْ تَبْـقَ فيها لهم فقـد سَعِـدوا
٢٣ رُزِقـتَ من وُدِّهـم وطاعتهـم — ما لم يَجِـدْهُ لِوالِـدٍ وَلَـد
٢٤ أثْلَجَهُـمْ منـك أنهـم عَلِمـوا — أنّـكَ فيمـا أُولِيـتَ مُجْتَهِـد

٢٥ وأنَّ ما قـد صنَعْتَ من حَسَـنٍ   مِصْدَاقُ ما كنتَ مـرَّةً تَعِـد

٢٦ أَلَّفـتَ أهواءهـم فأصبحـتِ الأضْغَـ   ـانُ سَلْمـا وماتـتِ الحِقَـد

٢٧ كنتُ أرى أنَّ ما وَجَـدْتُ من الفرْ   حَـةِ لَم يَلْـقَ مِثْـلَه أحَـد

٢٨ حتى رأيت العبـادُ كلُّهُـمُ   قد وَجَـدوا مَن هـواكَ ما أجِـد

٢٩ قد طلب النـاسُ ما بلغـتَ فما   نالـوا ولا قاربـوا وقد جَهَـدوا

٣٠ يرفعـك الله بالتَّكَـرُّمِ والتَّقْـ   ـوَى فتعلـو وأنت مُقْتَصِـد

٣١ حسـبُ امرئٍ مَـن غِـنًى تقرُّبُـهُ   مِنْـكَ وإنْ لم يَكُـنْ له سَـبَد

٣٢ فأنت أمْـن لِمَـنْ يَخَـاف ولِلـ   مَخْذُولِ أوْدَى نصـيرُه عَضُـد

٣٣ كلُّ امرئٍ ذى يـدٍ تُعَـدُّ عليـ   ـه مِنْـكَ معلومـةٌ يـدٌ ويـد

٣٤ فَهُـمْ مُلُـوكٌ ما لم يَرَوْك فـإنْ   دَاناهُـمُ منك مـنزلٌ خَمَـدوا

٣٥ تَغروهُـمُ رِغْـدَةٌ لديـكَ كمـا   قَفْقَـفَ تحت الدُّجُنَّـةِ الصَّرِد

٣٦ لا خـوفَ ظُـلْمٍ ، ولا قِلَى خُلُـقٍ   إلا جـلالا كَسَـاكَـه الصَّمَـد

٣٧ وأنت غَمْـر النَّدى إذا هَبَـط الزُّ   وار أرضـا تَحُلُّهـا حَمِـدوا

٣٨ فَهُمْ رفـاقٌ فَرُفْقَـةٌ صَـدَرتْ   عنك بغُنْـمٍ ، ورُفْقَـةٌ تَـرِد

٣٩ إنْ حـالَ دهـرٌ بهم فإنَّـك لا   تَنفَكُّ عن حالك التى عَهِـدوا

٤٠ قد صدَّق اللهُ مَادِحِيـكَ فمـا   فى قَوْلِهِم فِرْيَـةٌ ولا فَنَـد

٤١ مايُبْقِكَ الله للأنـامِ فمـا   يفقـد من العالمـين مُفْتَقَـد

التخريج : الأبيات فى الأغانى ٣٢٣/٤ ، ومضى المطلع فى ٣٢١/٤ ، والبيتان ٢ ، ٣ فى ٣٢٢/٤ والبيتان ٩ ، ١١ فى ٣٢٠/٤ (٩ : أحذر من لوعة) (١١ : وكيف صبرى) ، والبيتان ٢٩ ، ٣٠ فى ديوان المعانى ٥٣/١ ، والأبيات ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ فى زهر الآداب للحصرى ٥٢/١ (٢٩ : ولم يألوا فما) (٣٤ : فإن لاح لهم منك بارق) (٣٠ : تعروهم .. كما قرقف) (٣٦ : لكن جلالا) ، والبيت ٨ فى أساس البلاغة ص ١٠ مادة

(أنف) ، والأبيات ما عدا ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤١ في تهذيب ابن عساكر ٥٨/٧ (٣ : نكرت معارفها) (٦ : عاربه الشقوة) (١١ : تجاوب بالفراق) (٢١ : عيشة رغدا) (٢٧ : من الفرحة) (٣١ : سند) (٣٢ : فأنت حرب) (٣٤ : فهم) (٣٩ : فإنك لن) ، والأبيات : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ فى تجريد الأغانى ٥٧٦/٢ (١٠ : وحيانا جميعاً) (٣٢ : فأنت حرز) ، والأبيات ١٨ — ٣١ فى مختار الأغانى ٣٧٢/٤ وفيها (٢٠ : إنهم خلدوا) (٢٩ : ما كنت فما) والأبيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ فى نهاية الأرب للنويرى ١٢٨/٥ وفيه (وقال طريح بن إسماعيل الثقفى فى المنصور لما أفضت الخلافة إليه) (٢٠ : لو قيل إنهم خلدوا) (٢٨ : قد وجدوا فيك مثل ما أجد) (٢٩ : ولا جهدوا) .

(١١)

ولين المنخريـــن معتـــدل المـــارنِ لا ســـابلٌ ولا جَعْـــدُ

التخريج : محاضرات الأدباء ٢٩٨/٣ (البيت مكسور) .

(١٢)

(الكامل)

ذِهَب الشَّبابُ وصِرْتُ كالخَلَق الذى إلّا تُعاجِلـه المَنِيَّـةُ يَهْمَـد
حتى التحفتُ من المَشِيبِ مُلاءةً عُقْبَاك من شَعْرِ الشَّبابِ الأَسْوَدِ

التخريج : حماسة البحترى ص ٣١٢ .

(١٣)

قال طريح بن إسماعيل الثقفى فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

(الطويل)

١ سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا صَنَعْتَ لى فقصَّرْتُ مَغْلُوبـا وإنّى لَشَـاكِرُ
٢ لأَنَّكَ تُولِينى الجَمِيـلَ بَدَاهَـةً وأنتَ لما استكثرْتُ مَن ذاك حاقِـر
٣ فأَرجِعُ مَغْبُوطاً وتَرْجِـعُ بالـتى لها أَوَّل فى المَكْرُمَـاتِ وآخِـر
٤ وقد قلـتُ شِـعْراً فيـك لكن تَقُولُـه مكـارِمُ مِمَّـا تُبْـتَنى ومَفَـاخِر
٥ قَوَاصِـرُ عنها لم تحـط بصفاتهـا يُرَاد بهـا ضَرْبٌ من الشعر آخِـرُ

التخريج : حماسة أبى تمام ١٧٩٠/٤ حماسية ٨٠٧ (١ : طلبت .. فيما فعلت لى) (٢ : وقد كنت تعطينى الجزيل بديهة) ، وفى البيان والتبيين ٣٦٣/٢ (قالها فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك) (١ : فيما صنعت لى) (٢ : لأنك تعطينى) ، والأول فى عيون الأخبار ١٦٠/٣ (فيما صنعت لى) ، ونسب ابن قتيبة البيت الثانى إلى أبى يعقوب الخريمى فى عيون الأخبار ١٦٠/٣ ، والأول فى حماسة البحترى ص ١١٠ (فيما فعلت لى) ، والأول فى ديوان المعانى ١٢٦/٢ ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٣ فى بهجة المجالس ٣١١/١ غير منسوبة (وقال آخر فى يحيى بن خالد البرمكى) (١ : طلبت ابتغاء الشكر فيما فعلت لى) (٢ : لقد كنت تعطينى الجزيل بديهة) (٣ : فأرجع مقنوطاً) ، والبيتان ١ ، ٢ فى تهذيب ابن عساكر ٥٧/٧ (١ : صنعت لى) (٢ : تعطينى الجزيل) ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٣ فى شرح مقامات الحريرى للشريشى ٧٢/٢ (١ : طلبت ابتغاء .. صنعت لى) (٢ : وقد كنت تعطينى الجزيل بداية .. وإنى لما استكثرت منك) ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٣ فى نهاية الأرب للنويرى ٢٥٠/٣ (قالوا وأجود ما قيل فى عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن إسماعيل) ، والأول فى الدر الفريد ١/٢١٢ (طلبت ابتغاء ... صنعت لى) .

(١٤)

(البسيط)

عليه فَضفاضــةُ الأردان ضافيــةٌ كأنما جــالَ فى أرجائهــا النُّــوَرُ
يَفِيءُ عنهــا سِــنَانُ الرُّمْحِ مُنْثَلِماً ويَنْثَنِى الســيفُ عنها وهو مَطْرُور

التخريج : الأشباه والنظائر ٢/٢٩٤ .

(١٥)

(المنسرح)

مِثْلُ نُجُــومِ السَّــمَاءِ إنْ أَفَلَــتْ منها نجــومٌ بَدَتْ نظائِرُهــــا

التخريج : محاضرات الأدباء ١/١٦٠ .

(١٦)

(المنسرح)

فغادرتْهـــا رَمَـادةً حُمَمـــاً   خاويـةً كالتِّـــلال دامِرُهـــا

التخريج : اللسان مادة (رمد) ١٦٧/٤ .

(١٧)

(الكامل)

فَعَلَيْكَ تَقوى الله واجْعَلْ أمرَهـــا   دُثُرًا ، ودون شَعَارِكَ المُسْتَشْعَـــرِ

التخريج : حماسة البحترى ص ١٦١ .

(١٨)

(الكامل)

١ والمال جُنَّةُ ذى المعايب أنْ يصب   يحمد ، وإنْ يدع الطريقة يعذر
٢ والمرء يحذر ما يصرف صده   عنه ، ويحتل فى الذى لم يحذر
٣ والمرء يحمد أنْ يصادف حظَّه   قَدَرٌ ، ويُعْذل فى الذى لم يقدر
٤ والناسُ أعداءٌ لكلِّ مدقع   صِفْر اليدين وأخوةٌ للمُكْثِر
٥ وإذا امْرُؤٌ فى النّاسِ لم يَكُ عارِفاً   بالعُرْفِ لم يك منكرا للمنكر

التخريج : الأول فى جمهرة اللغة ٢/٥٠٢ ، ومحاضرات الأدباء ٣/١٨ ، وروى البحترى البيت الثالث فى حماسته ص ٢٣٦ (خطة قدرت) ، والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ فى تهذيب ابن عساكر ٧/٥٧ - والبيت ٤ فى الدر الفريد ورقة ١/٢٨٩ (خ) - والأبيات الخمسة فى عيون التواريخ ج ٥ ص ٩٧ .

(١٩)

(الكامل)

واعْتَامَ كهلُك من ثَقِيـفٍ كُفْأَه   فتنازعاك فأنت جَوْهَـرُ جَوْهَـرِ
فنمتْ فـروعُ القريتين قُصَيُّهـا   وقَسِيُّهـا بك فى الأَشَـمِّ الأَكْبَرِ

* * *

تَسْتَخْبِرُ الدِّمَـنَ القِفَـارَ ولم تَكُـنْ   لِتَرُدَّ أَخبـارًا على مُسْتَخْـبِرِ
فظللتَ تحـكمُ بين قَلْـبٍ عـارِفٍ   مَغْـنَى أحبتِهِ ، وطَـرْفٍ مُنْكِـرِ

التخريج : البيتان ١ ، ٢ فى الأغانى ٣١٧/٤ ، ولعل البيتين ٣ ، ٤ ضمن قصيدة منها البيتان الأولان وهما فى زهر الآداب ٢٤٠/١ ، والثالث فى جمع الجواهر ص ١٧٩ تحت موضوع (حديث الأطلال والدمن) .

(الكامل)

١ نام الخَلِيُّ من الهُمومِ وباتَ لى … ليلٌ أكابِدُه ، وهَمٌّ مُضْلِعُ
٢ وسَهِرتُ لا أسْرِى ، ولا فِى لَذَّةٍ … أرق ، وأغفلَ ما لَقِيتُ الهُجَّعُ
٣ أبْغِى وُجُوهَ مَخارِجِى مِن تُهْمَةٍ … أُزِمتْ علىّ ، وسُدَّ منها المَطْلَعُ
٤ جَزَعاً لِمَعْتَبةِ الوَلِيدِ ولم أكُنْ … مَن قَبْلِ ذاك من الحَوادث أجْزَع
٥ يا بنَ الخلائفِ إنَّ سُخْطَكَ لامْرِئٍ … - أمسيتَ عِصْمَتَه - بلاءٌ مُفْظِعُ
٦ فلأنزِعَنَّ عَن الذى لم تَهْوَه … إنْ كان لى ورأيتَ ذلك أنزع
٧ فاعْطِفْ فِدَاك أبى علىَّ تَوَسُّعاً … وفَضِيلةً فَعَلَى الفضيلةِ تُتْبَع
٨ فلقد كفاكَ وزاد ما قد نالَنى … إن كنتَ لى ببلاء ضُرٍّ تَقْنَع
٩ سِمَةٌ لذاك علىَّ جِسْمٌ شاحِبٌ … بادٍ تَحَسُّرُهُ ، ولَوْنٌ أسْفَع
١٠ إنْ كنتَ فى ذنب عَتَبْتَ فإنَّنى … عما كَرِهْتَ لَنازِعٌ مُتَضَرِّع
١١ ويئستُ منك فكُلُّ عُسْرٍ باسِطٌ … كفًّا إلىَّ ، وكُلُّ يُسْرٍ أقْطَع
١٢ من بعد أخْذِى من حِبالِك بالذى … قد كنتُ أحسَبُ أنه لا يُقْطَع
١٣ فاربُبْ صنيعَكَ بى فإنَّ بأعيُنٍ … للكاشِحِينَ وسَمْعِهم ما تَصْنَع
١٤ أدفعتَنِى حتى انقطعتُ وسُدِّدتْ … عنّى الوجوهُ ، ولم يكنْ لى مَدْفَع
١٥ ورُجِيتُ واتُّقِيتْ يداىَ وقِيلَ قد … أمسى يَضُرُّ إذا أحَبَّ وينفَع
١٦ ودخلتُ فى حَرَمِ الذِّمامِ وحاطَنى … خَفَرٌ أخذتُ به ، وعهدٌ مُولَع
١٧ أفهادِمٌ ما قد بنيتَ وخافِضٌ … شَرَفِى ، وأنت لغير ذلك أوسَع
١٨ أفلا خَشِيتَ شَمَاتَ قومٍ فُتَّهم … سَبْقا ، وأنفسُهم عليك تَقَطَّع
١٩ وفضلتَ فى الحَسَبِ الأشَمِّ عليهم … وصنعتَ فى الأقوام ما لم يصنعوا
٢٠ فكأنَّ آنُفَهم بكل صنيعةٍ … أسديتَها وجَمِيلِ فِعْلِى تُجْدَع
٢١ وَدُّوا لو انَّهُم ينالُ أكفَّهم … شَلَلٌ ، وأنَّكَ عن صَنِيعِك تَنْزِع
٢٢ أو تَستَلِيمُ فيجعلوك أُسْوَةً … وأبَى المَلامَ لكَ النَّدَى والمَوضِع

التخريج : الأبيات فى الأغانى ٣١٤/٤ ، والأبيات ما عدا ١٣ ، ١٥ فى الفرج بعد الشدة ٣٥٦/١ (١ : وبت فى .. مضبع) (٢ : وأعقد ما لقيت المضجع) (٤ : لمغضبة الوليد) (٧ : تعطفاً .. فعسى الفضيلة تنفع) (١٠ : لنازع متضرع) (١٤ : أرمضتنى) (١٧ : وأنت بغير ذلك) (١٨ : قوم فيهم .. شنف وأنفسهم على) (٢٠ : يجدع) ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، (١٠ - ١٧) فى تجريد الأغانى ٧٥٤/٢ (١٧ : وناقض شرفى) ، والأبيات (١ - ١٣) ، (١٧ - ٢٢) فى مختار الأغانى ٣٦٩/٤ (١ : بات الخلى) (٢ : وسهرت لا أكرى) (١٠ : لنازع متضرع) (١٧ : أفهاضم) (١٩ : فى الحسب الأديم .. ما لا يصنع) (٢٠ : أسستها) ، والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ١٠ ، ٧ فى مجموعة المعانى ص ١٠٨ (١ : رحم أكابده) (٣ : زمت على) (١٠ : لنازع متوزع) .

(الكامل)

إنّى عَجِبْتُ لِصَوْتِ غَيْـثٍ مُرْسَلٍ   يَغْشَى البريـةَ وهو عنى مُقْلِـعُ
ولمَعْشَرٍ لم يَبْلُغـوا من ودِّكـم   ما قد بلغـتُ يقومـون وأدفـع
ما لى أُحَـلَّا عن حِيَاضِـك مفـردا   يَرِدُ الظِّمَـاءُ فيشربون وأقـدع
فكأنكم فيمـا مضى من عِيشَـتى   لم تعلمـوا وتَرَوْا هَوَاىَ وتسمعـوا

التخريج : حماسة ابن الشجرى ص ٧٠ ولعلها ضمن أبيات القصيدة السابقة (٢٠) .

(٢٢)

(الكامل)

١ وَتَرى المَشِيبَ مُبَصِّراً ومُحَكِّما … كُلٌّ يَغُولك نازلٌ ومُوَدِّع
٢ والشيب للحكماء من سَفَه الصِّبا … بَدَلٌ تكون له الفضيلة مُقْنِع
٣ والشيبُ زينُ ذوى المروءة والحجا … فيه لهم شَرَفٌ وحَقٌّ أَوْرَع
٤ والبِرُّ تَخْلِطُه المروءةُ والتُّقَى … فى حال أشيبَ جسمُه مُتَضَعْضِع
٥ أَهْوَى إلىَّ مِن الشباب مع العَمَى … والغَىُّ يتبعُه الغَوِىُّ المُهْرَع
٦ إنَّ الشبابَ عمىً لأكثر أهلِه … وتعرضٌ لمهالك وتَقَرُّع
٧ إنْ تغبطْ فى اليوم تُصْبِحْ فى غد … مِمَّا تحبُّ لك واجما تتوجَّع
٨ والشيبُ غايةُ مَنْ تأخرَ حَيْنُه … لا يستطيعُ دفاعَه من يَجْزَع

* * *

٩ إن الشبابَ له لذاذةُ جِدَّة … والشيب منه فى المَغِبَّة أنفع
١٠ لا يستوى عند الكواعب لابسٌ … ثوبَ الشباب ولا الكبيرُ الأنْزَع
١١ خلع الشبابُ جديدَه عن ناحل … خَلَقٍ بمَفْرِقه المَنِيَّةُ تلمع
١٢ فكأنما أبصرْنَ حين رأينَه … بالشيب حَيَّةَ غَيْضَةٍ تتلذّع
١٣ فَجَفَلْنَ منه وانقبضْنَ تحيُّرا … مكرَ المُخادِع يَبْتَغِى مَن يَخْدَع
١٤ لا يُبْعِدُ اللهُ الشَّبابَ ، ومَرْحَبا … بالشَّيْبِ حين أوَى إليه المُوجَع
١٥ فَدَعِ البكاءَ على الشبابِ وقُلْ له … ما قال عند مُصِيبَةٍ مُسْتَرْجِع

التخريج : الأبيات ١ - ٥ فى حماسة البحترى ص ١٩٤ ، والبيتان ٦ ، ٧ فى حماسة البحترى ص ١٩٩ ، والأبيات ٩ - ١٥ فى حماسة البحترى ص

١٨٧ ، ولعلها من نفس القصيدة ، والمصادر تنبئنا عن ذلك ، والثامن فى أمالى المرتضى ٥٣٣/١ ، وروى بيتا لمروان بن أبى حفصة ، قوله :

ومن مد فى أيامـــه فتأخـــرت منيتـــه فالشـيب لا شك شاملـــه

قال المرتضى : مأخوذ من قول طريح بن إسماعيل الثقفى . وفى أمالى المرتضى كذلك ٦٠٢/١ أربعة أبيات ٢ ، ٨ ، ٩ ، ١٤ مسبوقة بقوله : (وممن عدل بين الشيب والشباب ومدح كل واحد منهما طريح بن إسماعيل الثقفى) (٢ : يكون لذى الفضيلة) (١٤ : الشباب فمرحبا .. المرجع) ، والأبيات ١ - ٦ فى معجم الأدباء ٢٤/١٢ (١ : وترى المشيب بدا وأقبل زائراً .. بعد الشباب فنازل ومودع) (٢ : بدل تنال به) (٣ : بنى المروءة .. ومجد يرفع) (٤ : والبر تصحبه .. تبدو بأشيب جسمه) (٥ : أشهى إلى من الشباب مع المنى .. يتبعه القوى) (٦ : لمهالك تتوقع) ، والأبيات ٢ ، ٨ ، ٩ ، ١٤ فى مجموعة المعانى ص ١٢٤ (٢ : والشيب للحلماء) (١٤ : حين يرى إليه المرجع) .

(٢٣)

(الوافر)

تَخَلَّ بحاجتى واشْدُدْ قُوَاهــا ... فقــد أمْسَتْ بمنزلــة الضَّيَــاع

إذا راضَعْتَهــا بلِبَــان أُخْــرَى ... أضَــرَّ بهـا مشـاركةُ الرِّضَــاع

ودونـك فاغْتَنِمْ شُكْرِى وشِعْرى ... وإيَّــاكم مكاشــفةَ القِنَــاع

التخريج : الأبيات فى الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٩٥ وفيه (كان داود ابن على يتقلد الكوفة وأعمالها فدفع طريح بن إسماعيل إلى كاتبه رقعته إلى داود فى حاجة له إليه ، متقاضياً لها ، فقال له : هذه حاجتك مع حاجة فلان من الأشراف فقال ... الأبيات ، فأفرد رقعته وقضى حاجته) ، والبيتان ١ ، ٢ فى أمالى القالى ٨٠/٢ ، والأبيات فى جمهرة الأمثال ٥١٤/١ (١ : تخل لحاجتى .. فقد أضحت) (٢ : إذا أرضعتها) (٣ : حمدى وشكرى) وعجزه (وأشفق من مكاشفة القناع) ، والبيتان ١ ، ٢ فى بهجة المجالس ٣٢٣/١ غير معزوين (١ : تخل لحاجتى) (٢ : إذا أرضعتها .. أضر بها) ، والأول فى سمط اللآلى للبكرى ٧٠٥/٢ ، والبيتان ١ ، ٢ فى المستطرف ٢١٤/١ (١ : تأن لحاجتى واشدد عراها .. فقد أضحت) (٢ : إذا شاركتها) منسوبان إلى كاتب لاسحاق بن إبراهيم المصعبى ، ولعله كان يستشهد بهما .

(البسيط)

١ تقول والعيس قد شُدَّتْ بأَرْحُلِها ... أَلحقُّ أنَّكَ مِنَّا اليومَ مُنطَلِقُ ؟
٢ قلتُ : نعم ، فاكظمي ، قالت : وما جَلَدى ... ولا أظنُّ اجتماعا حين نفترِقُ
٣ فقلت : إن أحيَ لا أُطوِل بعادكم ... وكيف والقلبُ رهنٌ عندكم غَلَقُ
٤ فارقتُها لا فؤادى مِن تذكُّرِها ... سالى الهمومِ ، ولا خَبْلى لها خَلَقُ
٥ فاضتْ على إثْرِهم عيناك دمعُهما ... كما تتابع يجرى اللؤلؤُ النَّسَقُ
٦ فاستَبْقِ عينَك لا يُودِى البكاءُ بها ... واكْفُفْ بَوادِرَ دمعٍ منك تستبقُ
٧ ليس الشؤونُ وإنْ جادتْ بباقيةٍ ... ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَقُ
٨ وما نَعَم منك للعافين مُسْتَجلةٌ ... من التَّخلُّقِ لكنْ شيمَةٌ خُلُقُ
٩ ساهمتَ فيها ولى « لا » فاختصصتَ بها ... وطار قوم ، « لا » والذمّ فانطَلَقوا
١٠ قومٌ همُ شَرَفُ الدُّنيا وسُؤْدَدُها ... صَفْوٌ على النّاسِ لم يُخلَط بهم رَنَقُ
١١ إن حَارَبُوا وَضَعُوا ، أو سَالَمُوا رَفَعُوا ... أو عَاقَدُوا ضَمِنوا ، أو حدَّثوا صَدَقُوا

التخريج : البيتان ٥ ، ٦ فى حماسة أبى تمام ١٢٤٧/٣ غير منسوبين ، ونسبهما محقق الحماسة إلى ابن هرمة مستندا على نسخة التبريزى ، والأبيات فى الأغانى ١٠١/٦ ، ١٠٢ (ذكر يحيى بن على بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أن الشعر لطريح ، وذكر يعقوب بن السكيت أنه لابن هرمة ، فمن روى هذه الأبيات لابن هرمة ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سلمان بن عبد الملك ، ومن ذكر أنها لطريح ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها الوليد بن يزيد ، والصحيح من القولين أن البيت الأول (وهو الثامن هنا) لطريح ، والثانى لابن هرمة وهو قوله :

يكاد بابك من عـلم بصاحبـــــه من دون بوابـه للنـاس يندلـــــق

فبيت طريح من قصيدته التى مدح بها الوليد بن يزيد وهى طويلة يقول فى تشبيبها .. الأبيات) . والأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ فى الحماسة البصرية ١٤٥/٢ ، والأبيات يمدح بها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك كما نص محقق الكتاب منسوبة إلى إبراهيم بن هرمة (١ : شدت بأرحلنا) (٢ : وما أظن اجتماعاً) (٦ : واكفف مدامع من عينيك) .

(٢٥)

(الكامل)

بَاتَ الخَيَالُ من الصُّلَيْت مؤرِّقِي ... يَفْرِي السُّرَاةَ مع الرَّبَابِ المُلْثِقِ
ما راعنى إلا بياضُ وُجَيْهِهِ ... تحت الدُّجُنَّةِ كالسِّراجِ المُشْرِقِ

التخريج : الأغانى ٣٠٩/٤ ، وهما فى مختار الأغانى ٣٦٥/٤ (٢ : إلا بياض جبينه) .

(٢٦)

(الكامل)

ما مُسْبِلٌ زَجَــلُ البعوضِ أنيسُــه   يَرْمِي الجِـراعَ أُثولَهـا وأُرَاكَهــا

التخريج : اللسان مادة (أثل) ٩/١٣ .

(٢٧)

(الكامل)

حَــلّاك خاتِمَهــا ، ومِنْبَرَ مُلْكِهـا   وعَصَــا الرسولِ كرامــةً عَصّاكَهـا

التخريج : اللسان مادة (عصا) ٢٩٥/١٩ .

(٢٨)

(الكامل)

دَعْ بعضَ أُكْلِكَ رُبَّ آكِلِ أَكْـلَةٍ   يوما سيلفظها إذا هُوَ لاكَهَـــا

التخريج : بهجة المجالس ٢/٧٦ .

(٢٩)

(الطويل)

قَناً لم يَضِيْرْهـا فى الكَرِيهـةِ عندمـا طَعَنْتَ بها أَنْ لا تسـنَّ نِصَـالَها
ولم تصدفِ الخيلَ العِتَاق عن الرَّدَى محـاذرة لما وزعـت رِعَالَهـا
لدى هبوةٍ ما كان سيفـك تحتهـا ووجهك إلّا شمسـها وهِلالَهـا

التخريج : الحماسة البصرية ١٤٦/١ غير منسوبة ، ونسبها محقق الحماسة إلى طريح بن إسماعيل الثقفى مستنداً إلى نسخة الحماسة التى اعتمد عليها فى التحقيق .

(٣٠)

(البسيط)

١ حَلَّ المَشِيبُ فَفَرْقُ الرأس مُشْتَعِلُ وبانَ بالكُرْهِ مِنَّا اللَّهْوُ والغَزَلُ
٢ فَحَلَّ هذا مُقِيما لا يُرِيدُ لنا تَرْكا ، وهذا الذى نَهْوَاه مُرْتَحِلُ
٣ شتَّانَ بينهما لو دَافعَتْ حِيَلٌ مكروهَ ذاك ، ولكن تُغْلَبُ الحِيَلُ
٤ هذا له عندنا نُورٌ ورائِحَةٌ كَنَشْرِ رَوْضٍ سَقَاهُ عَارِضٌ هَطِلُ
٥ وجِدَّةٌ وقَبُولٌ لا يَزَالُ له مِن كُلِّ خُلْقٍ هوًى أو خُلَّةٍ نَفَل
٦ والشيبُ يَطْوِى الفَتَى حَتَّى مَعَارِفُه نُكْرٌ ومَنْ كان يَهْوَاهُ بِهِ مَلَلُ
٧ يَبلى بِلَى البُرْدِ يوما بعد قُوَّتِه وَهْنٌ وبعد تَنَاءٍ خطوُه رَمَلُ
٨ ألم تَرَ المرءَ نَصْبا للحَوَادِثِ ما تَنفَكُّ فيه سِهَامُ الدَّهْرِ تَنْتَضِلُ
٩ إنْ يُعْجِل الموتُ يَحْمِلْهُ على وَضَحٍ لَحْبٍ موارِدُه مَسْلُوكَةٌ ذُلُلِ
١٠ وإنْ تمَادَتْ به الأيامُ فى عُمُرٍ يَخْلُقْ ، كما رَثَّ بعد الجِدَّة الحُلَل
١١ ثم يَصِيرُ إلى أنْ يستمرَّ به ريبُ المَنُونِ ولو طَالَتْ به الطِّيَلُ
١٢ والدهرُ ليس بِنَاجٍ من دوائِرِه حىٌّ جبانٌ ولا مُسْتَأْسِدٌ بَطَلُ
١٣ ولا دفينُ غَيَايَاتٍ له نَفَقٌ تحت الترابِ ولا حُوتٌ ولا وَعَلُ
١٤ بَلْ كلُّ شَىْءٍ سيُبْلِى الدَّهْرُ جِدَّتَهُ حتى يَبِيدَ ، ويَبْقَى اللهُ والعَمَلُ

التخريج : الأبيات ١ - ٧ فى حماسة البحترى ص ١٨٧ (٤ : تلقى الوجوه كريا عارض هطل) ، والأبيات ٨ - ١٤ فى حماسة البحترى ص ٩٢ ، (٩ : مسلولة) والأبيات ١ - ٧ فى معجم الأدباء ٢٥/١٢ ، ما عدا البيت الثالث (٧ : البرد فيه .. وبعد تناهى) ، والأبيات ٨ - ١٤ فى معجم الأدباء ٢٣/١٢ (١١ : صدره : ويستمر إلى أن يستقل به) ، وروى البحترى فى البيت الثالث عشر (ولا صوت) بدلا من (ولا حوت) ، والأول رواية ياقوت ، وليس لما قاله البحترى محل من المعنى .

(٣١)

(البسيط)

لا تأمننَّ امْـرَأً أسكنتَ مُهجتَـه غَيْظاً وإنْ قِيلَ : إنَّ الجُرْحَ يَنْدَمِلُ
واقْبَلْ جَمِيلَ الذى يُبْدِى ، وجازِ به وليحرسنْك من أفعالـه الوَجَـل

التخريج : فى كتاب الزهرة للأصفهانى ص ٢٢١ (١ : أسلمت مهجته) (٢ : وجازيه) ، وهما فى أدب الخواص ص ٦٣ (٢ : الرجل) .

(٣٢)

(الطويل)

فوالله ما أُدْرِى إذا جـاء سائِـلٌ يُسَـائِلُ عَن جَدْوَاك كيف أَقُـولُ
ووالله ما أدرى وإنِّى لَنَاظِـرٌ أَلِلْجـود أم للبُخْـلِ أنت مُخِيـل
وأنت امرؤ لم تستبِنْ لى طريقُـه وللسَّيْلِ حتى يَسْتَقِرَّ مَسِيـلُ

التخريج : حماسة البحترى ص ٢٥٨ ، وذكر أن الأبيات تروى كذلك لجوشن بن عميرة العذرى .

(٣٣)

(الطويل)

وأشعثَ طــلَّاعِ الثنايــا مبــاركٍ ... يَغُولُ نَجَــادَ السيــفِ وهو طَوِيــلُ

التخريج : أمالى المرتضى ٥٧١/١ .

(٣٤)

(الوافر)

بأىِّ الخُلّتَين عليــك أُثْنِـــنى ... فإنِّى عنــد مُنْصَرَفِى مَسُـــولُ

أبا الحُسْــنَى وليس لهــا ضِيَــاءٌ ... فمن هــذا يُصَــدِّقُ ما أقـــول

أمِ الأُخْــرَى ولســتُ على صديقــى ... بِذِى عَجَــلٍ إذا لاحَى عَجُـــول

التخريج : حماسة البحترى ص ٢٥٨ .

(٣٥)

(الكامل)

لا قَصَّـرا عنهـا ولَا بُلِّغْتُهـــا حَتَّى يَطُـولَ على يَدَيْـــك طِوَالُها

التخريج : تاريخ الطبرى ٣٦٤/٨ (قال إسحق المولى : لما بايع الرشيد لولده ، كان فيمن بايع عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، فلما قدم ليبايع ، قال : .. البيت فاستحسن الرشيد ما تمثل ، وأجزل له صلته ، قال : والشعر لطريح بن إسماعيل ، قاله فى الوليد بن يزيد وفى ابنيه) .

(الطويل)

إذا كُنْتَ عَيَّاباً على النَّاسِ فَاحْتَرِسْ　　لنفسِـكَ مِمَّا أَنْتَ للنَّاسِ قَائِـلُهُ

* * *

(الطويل)

وجدنا الوليـدَ بنَ اليزيـد مباركـا　　مُطِيقـا لأعبـاء الخلافـة كاهـلهُ

التخريج : حماسة البحترى ص ١١٨ ، ولعل من القصيدة البيت الثانى الذى رواه الشجرى فى أماليه ٢٥٢/٢ ، وهو فيها غير منسوب قال (وفى يزيد من قول الآخر) . ووجدت فى كتاب « تاريخ الخلفاء للسيوطى » ص ٢٥٢ - أن ابن ميادة له بيتان قالهما فى الوليد ذكر السيوطى أنهما من قصيدة طويلة ، وهما :

همت بقول صـادق أن أقولـه　　وإنى عـلى رغم العـداة لقائلـه
رأيت الوليـد بن اليزيـد مباركـا　　شديدا بأعبـاء الخلافـة كاهلـه

والأول منسوب لطريح فى الدر الفريد ١٨٣/١ .

(٣٧)

(الطويل)

فَيَجْلَبُ من جيش شـآمٍ بغـــارةٍ كشـؤبوب عَرْض الأبْــرِد المُتَثَلِّلِ

التخريج : اللسان مادة (ثلل) ١٣/٩٥ .

(٣٨)

(البسيط)

ولاةٌ حُمَـــاةٌ يحسِمُ الله ذو القُوَى بهم كُلَّ داءٍ يُضْنِيِن الدينَ مُعْضِـلِ

التخريج : اللسان مادة (ضبن) ١٧/١٢١ .

(٣٩)

(الطويل)

قال طريح الثقفى يرثى قوماً :

فَلِلّهِ عَيْنـاً مَنْ رَأى قَطُّ حَادِثـاً كفَرْسِ الكِلَابِ الأَسْدَ يَوْمَ المُشَلَّلِ

التخريج : الموازنة للآمدى ص ٨٩ (أخذه أبو تمام فأجاد فى الأخذ فقال :

من لم يعاين أبا نصـر وقاتلـه فما رأى ضبعـا فى شدقهـا سَبُع

وهذا معنى متداول ، وقد يجوز أن يكون أخذه الطائى من غير هذا الموضع) .
والمشلل : جبل يهبط منه إلى قُدَيْد من ناحية البحر ، وقديد اسم موضع قرب مكة ، وفى السنة الثامنة للهجرة هدم سعد بن زيد الأشهلى مناة بالمشلل وكان للأوس والخزرج ، ولم تذكر المصادر شيئاً عن هذا اليوم الذى أشار إليه طريح .
انظر : تاريخ الطبرى ٢٨/٣ ، ٦٦ ، ٤٩٦/٥ ، ٤٩٨ ، ومعجم البلدان ١٣٦/٥ ، ٣١٣/٤ .

(٤٠)

(الكامل)

نَامَتْ خَلاخِلُهـا وجَـالَ وِشَاحُها وجَرَى الوِشَـاحُ على كَثِيبٍ أَهْيـلِ
فاستيقظتْ منه قلائدُهـا التى عُقِدَتْ على جيـدِ الغَزَالِ الأَكْحَـلِ

التخريج : اللسان مادة (يقظ) ٢٤٨/٩ ، وفى مادة (قوم) ٧٨/١٦ (١ : وجرى الإزار) .

(٤١)

(الكامل)

كالبَيْض بالأُدْحِىِّ يَلْمَعُ فى الضُّحَى   فالحُسْــنُ حُسْــنٌ والنَّعِــيمُ نَعِيمُ
حُلِّينَ مــن دُرِّ البُحُــورِ كأنَّــه   فوقَ النُّحُــور إذا يَلُوحُ نُجُــومُ

التخريج : البيتان فى الأغانى ٣٠١/٤ .

(٤٢)

(الكامل)

غُبْسٌ خَنَــابِسُ كلُّهُــنَّ مُصَــدَّر   نَهْــدُ الزُّبُنَّــةِ كالفَرِيشِ شَتِــيمُ

التخريج : اللسان مادة (فرش) ٢١٧/٨ ، ومادة (زبن) ٥٤/١٧ (كالعريش) .

(٤٣)

(الخفيف)

فإلَيْكَ ارْتَحلْـتُ تَشْـفَعُ لى قُـرْ   إبَي ونصـحٌ لكم وغَيْبٌ سَـلِيمُ
فاكْسِـنى البِشْـرَ إنّه شـاهدُ العُـرْ   فِ كما شَـاهَد القنوطَ الوُجُـومُ

التخريج : مجموعة المعانى ص ١٧٥ والثانى فى الدر الفريد ٢/٢٥٥ .

(٤٤)

(الكامل)

أَصْلَحْتَنِى بالجُـود بل أَفْسَـدْتَنِى ... وتركْتَـنى أتسـخَّطُ الإِحْسَـانا
مَنْ جـاء بعـدَك كان جودُك فوقَه ... لا كان بعدَك كائِنا مَنْ كـانا

التخريج : الأشباه والنظائر ١٤/١ .

(٤٥)

(الوافر)

قصدتُك عارِيـاً مِن كُـلِّ فَـنٍّ ... لكُـلِّ الخَلْـقِ فى كُلِّ المَعَـانى
فلـو دُنْيَـاى قَابَلَنِى غِنَـاهـا ... بغيرِك ما ثَنَيْـتُ لَهَـا عَنَـانى

التخريج : جمهرة اللغة ٥٣٥/٢ .

(٤٦)

(الكامل)

يا صَلْتُ إنَّ أَبَاك رَهْـنُ مَنِيَّةٍ   مكتوبـةٍ لابُدَّ أَنْ يَلْقَاهـا
سَلَفَتْ سَوَالِفُهـا بأنفُسٍ مَنْ مَضَى   وكذاك يَتْبَـعُ باقِيـاً أُخـرَاها
والدَّهْـرُ يُوشِـكُ أن يُفَرِّقَ رَيْبُـه   بالموت أو رِحَـلٍ تَشِـتُّ نَوَاهـا
لابُدَّ بينَكمـا فتُسْـمِع دَعْـوةً   أو تَستَجِيبُ لدَعْـوَةٍ تُدْعَـاهـا

التخريج : الأغانى ٤/٣٠٩ ، والبيتان ١ ، ٢ فى مختار الأغانى ٤/٣٦٥ (٢ : سبقت سوابقها) .

(٤٧)

(الكامل)

١ وإذا جلسْتَ مع النَّدِىِّ فلا تَصِلْ هم الحدِيث بقصَّة تَغْيَاهَا
٢ حتى تُثَقِّفَهَا وتُحْكِم وغْيَهَا فتُبِينَهَا كحَدِيثِ مَنْ أُحْصَاهَا

* * *

٣ ماذا خُصِصْتَ بنعمة ورُزِقْتَهَا من فضل ربك مِنَّة تَغْشَاهَا
٤ فابْغِ الزِّيَادَةِ فى الذى أُعطيتَه وتمامُ ذاك بِشُكْرِ مَنْ أَعْطَاهَا

* * *

٥ واتْرُكْ مُصَاحَبَةَ اللِّئَامِ وَدَعْهُمُ تُرْكَ المَخُوفَةِ بالرَّدَى عَدْوَاهَا

* * *

٦ واتْرُكْ مُعَانَدَةَ اللَّجُوجِ ولا تَكُنْ بين النَّدِىِّ هُذُرَّةً تَيَّاهَا

* * *

٧ وإذا عَتَبْتَ على امْرِىءٍ فى خَلَّةٍ ورأيتَه قد ذَلَّ حين أتاهَا
٨ فاحْذَرْ وقوعَك مَرَّةً فى مِثْلِهَا فيبُثُّ عنك نُصُوحَهَا وثَنَاهَا

التخريج : البيتان ١ ، ٢ فى حماسة البحترى ص ٢٣٢ ، والبيتان ٣ ، ٤ فى حماسة البحترى ص ١١٠ ، والسياق يدل على مطلع الثالث (فإذا) ، والخامس فى حماسة البحترى ص ٥٨ ، والبيتان ٧ ، ٨ فى حماسة البحترى ص ١١٨ ، والسادس ص ١١٨ ، والسادس فى اللسان مادة (هذر) ٧/١٢٠ .

ثبت بالمصادر والمراجع :

(١) الإبانة عن سرقات المتنبى – أبو سعد محمد بن أحمد العميدى – تحقيق : إبراهيم الدسوقى البساطى – ط : دار المعارف بمصر (ذخائر العرب : ٣١) ١٩٦٩م .

(٢) اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى – ا.د. محمد مصطفى هدارة – ط : المكتب الإسلامى بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

(٣) أدب الخواص فى المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها – أبو القاسم الحسين بن على بن الحسين بن على الوزير المغربى أعده للنشر : حمد الجاسر – ط : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر – الرياض – ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٤) أساس البلاغة – جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ط : دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٥) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين – للخالديين : أبى بكر محمد وأبى عثمان سعيد ابنى هشام – تحقيق : د. السيد محمد يوسف – ط : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥م .

(٦) الأغانى – أبو الفرج على بن الحسين الأصفهانى – ط : دار الكتب المصرية .

(٧) الأمالى – أبو على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى – ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م .

(٨) أمالى المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) – الشريف المرتضى على ابن الحسين الموسوى العلوى – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ط : دار الكتاب العربى – بيروت – الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

(٩) بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس - أبو عمر يوسف ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى - تحقيق : محمد مرسى الخولى - ط : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر (تراثنا) .

(١٠) البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق : عبد السلام هارون - ط : الخانجى - الطبعة الثالثة - ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

(١١) تاريخ الخلفاء - جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى - الطبعة الأولى - ط : مطبعة السعادة بمصر ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

(١٢) تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث - نجيب محمد البهبيتى - ط : دار الفكر - بيروت .

(١٣) تاريخ الطبرى - أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - ط : دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة - (ذخائر العرب ٣٠) .

(١٤) تاريخ اليعقوبى - أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسى المعروف باليعقوبى - ط : دار صادر - بيروت .

(١٥) تجريد الأغانى - ابن واصل الحموى - تحقيق : د. طه حسين وإبراهيم الأبيارى ط : مطبعة مصر - ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

(١٦) تهذيب تاريخ دمشق - أبو القاسم على بن الحسين بن وهبة الله بن عساكر ط : روضة الشام ١٣٣٢هـ .

(١٧) جمع الجواهر فى الملح والنوادر - (ذيل زهر الآداب) - أبو إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى - ضبطه : على محمد البجاوى - ط : عيسى البابى الحلبى - الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م .

(١٨) جمهرة الأمثال - أبو هلال العسكرى - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ط : المؤسسة العربية الحديثة - الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

(١٩) جمهرة اللغة - ابن دريد (محمد بن الحسن الأزدى) - الطبعة الأولى - حيدرآباد الدكن - ١٣٤٥هـ .

(٢٠) الحماسة - أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى البحترى - عنى بضبطه : لويس شيخو اليسوعى - ط : دار الكتاب العربى - بيروت - الطبعة الثانية - ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
(٢١) الحماسة البصرية - صدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى - تحقيق : مختار الدين أحمد - ط : عالم الكتب - الطبعة الثالثة - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
(٢٢) الحماسة - ابن الشجرى - ط : حيدرآباد ١٣٤٥هـ .
(٢٣) الحياة الأدبية فى البصرة فى نهاية القرن الثانى الهجرى - د. أحمد كمال زكى - الطبعة الأولى - ط : مطابع دار الفكر بدمشق - ١٣٨١هـ/١٩٦١م .
(٢٤) دائرة المعارف الإسلامية - النسخة العربية - إعداد وتحرير : إبراهيم زكى خورشيد وأحمد الشنتاوى وعبد الحميد يونس ط : دار الشعب ١٩٣٣م .
(٢٥) الدر الفريد وبيت القصيد - محمد بن سيف الدين أيدمر - مخطوطة معهد المخطوطات العربية - رقم ٢١٧ - أدب .
(٢٦) الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة - حمزة بن الحسن الأصفهانى - تحقيق : عبد المجيد قطامش - ط : دار المعارف بمصر - (ذخائر العرب : ٤٦) .
(٢٧) ديوان ذى الرمة - عنى بتصحيحه كارليل هنرى هيس مكارتنى - ط : مطبعة كلية كمبريدج ١٣٢٧هـ/١٩١٩م .
(٢٨) ديوان المعانى - أبو هلال العسكرى - ط : مكتبة القدس - ١٣٥٢هـ .
(٢٩) ديوان النابغة الذبيانى - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - ط : دار المعارف (ذخائر العرب : ٥٢) .
(٣٠) زهر الآداب وثمر الألباب - أبو إسحاق إبراهيم بن على الحصرى

القيروانى – ضبطه : على محمد البجاوى – الطبعة الأولى – عيسى البابى الحلبى – ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م .
(٣١) سمط اللآلى فى شرح أمالى القالى – أبو عبيد البكرى – تحقيق : عبد العزيز الميمنى – ط : دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
(٣٢) شرح ديوان الحماسة لأبى تمام – أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى – تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام هارون – الطبعة الأولى – لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م .
(٣٣) شرح مقامات الحريرى البصرى – أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى – الطبعة الأولى – ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م .
(٣٤) شرح نهج البلاغة – ابن أبى الحديد ط : دار مكتبة الحياة – بيروت .
(٣٥) الشعر والشعراء – ابن قيبة – تحقيق : أحمد محمد شاكر – جـ ١ ط : دار المعارف بمصر ١٩٦٦م ، جـ ٢ ط : دار التراث العربى للطباعة .
(٣٦) الشعراء من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية – د. حسين عطوان – ط : دار الجيل بيروت – ١٩٧٤م .
(٣٧) العمدة فى صناعة الشعر ونقده – أبو على الحسن بن رشيق القيروانى – ط : مطبعة السعادة – الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .
(٣٨) عيون الأخبار – ابن قتيبة – ط : دار الكتب المصرية ١٩٦٣م .
(٣٩) عيون التواريخ – أبو عبد الله صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبى الدارنى الدمشقى – مخطوطة الظاهرية رقم ٣٤١٠ .
(٤٠) الفرج بعد الشدة – أبو على المحسن بن على التنوخى – تحقيق : عبود الشالجى – ط : دار صادر – بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
(٤١) الكامل فى الأدب – أبو العباس محمد بن يزيد المبرد – علق عليه : محمد أبو الفضل إبراهيم – ط : نهضة مصر .

(٤٢) لسان العرب – ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى – ط : مطبعة بولاق .
(٤٣) مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية – المجلد الخامس عشر – مقال عن (حكمة أبى تمام) للأستاذ محمد خلف الله أحمد .
(٤٤) مجموعة المعانى – مجهول المؤلف – ط : مطبعة الجوائب – القسطنطينية – ١٣٠١هـ – الطبعة الأولى .
(٤٥) محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء – أبو القاسم حسين الراغب الأصفهانى – ط : دار مكتبة الحياة – بيروت – ١٩٦١م .
(٤٦) مختار الأغانى – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور – الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .
(٤٧) المستطرف فى كل فن مستظرف – بهاء الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأبشيهى – ط : مطبعة الاستقامة – بدون تاريخ طبع .
(٤٨) المعارف – أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة – تحقيق – د. ثروت عكاشة – الطبعة الثالثة – ط : دار المعارف (ذخائر العرب : ٤٤) .
(٤٩) المعانى الكبير فى أبيات المعانى – ابن قتيبة الدينورى – ط : حيدرآباد الدكن الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م .
(٥٠) معجم الأدباء – ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى البغدادى – ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت .
(٥١) معجم البلدان – ياقوت الحموى – ط : دار صادر – بيروت .
(٥٢) معجم قبائل العرب – عمر رضا كحالة – ط : دار العلم للملايين – بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
(٥٣) مقدمة القصيدة العربية فى العصر الأموى – د. حسين عطوان – ط : دار المعارف بمصر – (مكتبة الدراسات الأدبية : ٦٦) .
(٥٤) الموازنة بين أبى تمام والبحترى – أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى

الآمدى البصرى – نشر محمد محيى الدين عبد الحميد – ط : مطبعة السعادة – الطبعة الثانية – ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .
(٥٥) النصف الثانى من كتاب الزهرة – أبو بكر محمد بن داود الأصفهانى تحقيق : د. إبراهيم السامرائى ود. نورى القيسى – ط : دار الحرية للطباعة – بغداد ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
(٥٦) نهاية الأرب فى فنون الأدب – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى – طبعة دار الكتب المصرية .
(٥٧) نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب – أبو العباس أحمد القلقشندى – تحقيق : إبراهيم الأبيارى – ط : دار الكتاب اللبنانى – الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
(٥٨) نوادر المخطوطات – تحقيق عبد السلام هارون – الطبعة الثانية – ط : مصطفى البابى الحلبى – ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
(٥٩) الوزراء والكتاب – أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى – ط : مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م – تحقيق : مصطفى السقا – إبراهيم الأبيارى – عبد الحفيظ شلبى .
(٦٠) الوليد بن يزيد (عرض ونقد) د . حسين عطوان – ط : دار الجيل – بيروت – ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

فهرست الشعر

صدر البيت	القافية	عدد الأبيات	الصفحة	الوزن الشعرى
وترى المشيب مبصراً ومحكماً	وموّدعُ	١٥	٩٥	الكامل
تحل بحاجتى واشدد قواها	الضياع	٣	٩٧	الوافر
	......			
تقول والعيس قد شدت بأرحلها	منطلقُ	١١	٩٨	البسيط
بات الخيال من الصليت مؤرق	الملتقِ	٢	١٠٠	الكامل
	......			
ما مسبل زجل البعوض أنيسه	أراكها	١	١٠١	الكامل
حلاك خاتمها ومنبر ملكهـا	عصاكها	١	١٠١	الكامل
دع بعض أكلك رب آكل أكلة	لاكها	١	١٠٢	الكامل
	......			
قنا لم يضرها فى الكريهة عندما	نصالَها	٣	١٠٣	الطويل
حل المشيب ففرق الرأس مشتعل	والغزلُ	١٤	١٠٤	البسيط
لا تأمنن امرأ أسكنت مهجته	يندملُ	٢	١٠٥	البسيط
فوالله ما أدرى إذا جاء سائل	أقولُ	٣	١٠٥	الطويل
وأشعث طلاع الثنايا مبارك	طويل	١	١٠٦	الطويل
بأى الخلتين عليك أثنى	مسول	٣	١٠٦	الوافر
لا قصرا عنها ولا بلغتها	طوالُها	١	١٠٧	الكامل
إذا كنت عياباً على الناس فاحترس	قائله	١	١٠٨	الطويل
فيجلب من جيش شآم بغارة	المتثللِ	١	١٠٩	الطويل
ولاة حماة يحسم الله ذو القوى	معضلِ	١	١١٠	الطويل
نامت خلاخلها وجال وشاحها	أهيل	٢	١١٠	الكامل
	......			
كالبيض بالأدحى يلمع فى الضحى	نعيمُ	٢	١١١	الكامل
غبس خنابس كلهن مصدر	شتيم	١	١١١	الكامل
فإليك ارتحلت تشفع لى قربى	سليم	١	١١٢	الخفيف
	......			

فهرست الكتاب